الغدر

كان على طرق القوافل الموازية لشاطئ البحر الأحمر بمعدل كامل خمسين كم أو ستين كم وفي الزمن القديم كان يحسبونها بالشمس عندما تشرق الشمس أو تغيب الشمس يكون هذا الزمن قد قطعت القافلة مسافة وتكون في الخان وإذا حسينا المسافة بين حسكة ودمشق حوالي 200 كم تحتاج القافلة للوصول إليها حوالي شهر ولكن عندما تغيب الشمس ولكن عندما تغيب الشمس تستريح القافلة في الخان وهذا الخان يكون كبيراً وفيه غرف كثيرة أشبه بالفندق الكبير في هذا العصر أو مدينة سياحية صغيرة لأن هذا الخان يقدم للقافلة أو لرجال القافلة وحراسها الطعام والشراب وفيه بعض الغانيان للزعماء الذين يرتادونه وتتركون القافلة التي تأتي من الجنوب باتجاه الشمال تحمل التمر والإبل والخيول لبيعها في مناطق الشام والبلقاء وهذا يكون في بداية أو نهاية الخريف .

أما في الصيف فتذهب هذه القوافل إلى اليمن وكانت سورية محتلة من قبل الرومان ويوجد أيضاً في البلقاء خانات كذلك في بلاد الشام أمثال خان الشيخ وخان دنون وفي داخل المدن التي يصلونها يوجد خانات أكبر وفي العهد الروماني التي يسيطر على كافة مساحة سوريا تقريباً أو على غرب الفرات كانت السيطرة الرومانية وهي أرث للومان ورثت الحكم الروماني وكانت قوافل العرب القادمة من الحجاز والجزيرة تقف أحياناً في مدينة الحجر والحجرات القريبة من البحر الأحمر وكانت الآبار تحفر في هذه المناطق على طول الطريق وكانت كل قافلة تحرس من قبل فرسان أشداء لحمايتها من قطاع الطرق ومن زعماء الذين ظهروا قبل الإسلام في هذه التجارة المشهورين أبو سفيان من مكة من قريش وأبو لهب وأبو جهل والعاص وطلحة بن الربيع وكانت من كل قبيلة يذهبون فرسان لحماية قافلتهم وذلك قبل ظهور الإسلام وكانوا يشربون لحجر ف بالخانات ويعاقرون النساء وعندما يجتازوا منطقة الحجاز ويصلون على منطقة الرومان (الأردن حالياً) (البلقاء) كان هناك خان كبير ينزلون فيه قبل ظهور الإسلام وانتشاره وكانت على ما يبدوا يوجد تباشير في الإصلاح في شبه الجزيرة العربية من هذا التخلف وأد البنات ومحاربة النساء وظهر في هذا الوقت في الجزيرة العربية منظمات معارضة تدعو للإصلاح أمثال الصعاليك الذين سموهم قادة القبائل وزعاماتها سموهم الصعاليك ومنهم أبناء زعماء قبائل أمثال الورد والشاعر تأبط

شراً وعنزة وهكذا كثير منهم خرج عن إرادة قبيلته من أجل الإصلاح وكانت نزعات فردية ولكن هؤلاء الصعاليك كانوا يقطعون طرق القوافل وكان لا بد من تجديد الحراسة عليها .

ووصلت إحدى القوافل الكبيرة ونزلت في فندق في البلقاء وكانت تديره امرأة ايطالية اسمها جوليا وهذه الجوليا كانت على علاقة قبل وصولها إلى الحان على علاقة بقيصر الروم وكانت عندها اسمها جوليانا وأبعدت القيصرة عن روما إلى البلقاء إلى الشرق ووصت القائد الروماني في بيزنطة بها . وكانت جوليا الذي اسمها مديرة الخان لأن خاضع للحكم الروماني وينزل في هذا الخان أحياناً قبائل من قريش وهوازن وقريظة . جوليا هذه أتت لعدد كبير من النساء سواء الايطاليات والاسبانيات أومن منطقة المحيطة في ايطاليا تقدمهم لزبائنها وكانت تستورد الخمر وكان ذلك عندما ظهرت المسيحية واختلف في شأنها وكان القيصر يعتبر نفسه وكيل الإله على الأرض وأراد القيصر أن يتزوج على زوجته الأولى وخافت القيصرة أن تلد هذه الزوجة الثانية وتقدمه بأن يكون ابنها وريث العرش بدل الأولى وكان على علاقات كثيرة مع الجواري . وهذا القيصر قدم تقدم بالسن وهذه العلاقة مستمرة وهذه القيصرة كانت تسكن تكن كرهاً شديداً للقيصر لأنها تعرف أنه يتزوج امرأة ثانية وكان يخونها أيضاً مع الجواري الذين في قصره ولكن هذه القيصرة الأولى ليست متقدمة في السن وكانت على علاقة مع كتل الأحزاب في مجلس الشيوخ الرومان وكانت على علاقة تؤمن لرؤساء هذه الكتل السياسية بعض الأموال وكانت أيضاً تؤمن لهم حياتهم الخاصة مع بعض الجواري في قصرها .

كانت لها سيطرة على رؤساء هذه الأحزاب في مجلس الشيوخ وأرادت عندما شعرت بالخطر يقترب منها أرادات أن تنتقم من القيصر وتعيين بدلاً منه أخاها أو ابنها ولذلك اتفقت مع رؤساء هذه الكتل نظمت عملية اغتيال سريعة للقيصر ومع كل فرد من هذه الكتل اجتمعت بمفرده وحرصه على القيصر ووعدته بأشياء أخرى وكانت قد رتب سابقاً طفلاً صغيراً بمعرفة القيصر وكبر وعينه القيصر مرافقاً له عندما أصبح شاباً كما عينه عضواً في مجلس الشيوخ وفي إحدى الجلسات التي قررت فيها كان القيصر عندما يتكلم لا يجرؤ أحد أن يتكلم معه . وعندما ينتهي الجلسة سيذهب إلى الباب سابقه هذا الشاب الذي اسمه بروتوس وقررت هذه الكتل اغتيال القيصر في الجلسة وحتى لا يختلف البرلمان اشترك جميع قادة الكتل السياسة عند باب القاعة التي يغادرها القصر عندما يودعوه وانتهى القيصر الجلسة وغادر القاعة باتجاه الباب ومشت معه قادة الكتل ولا أدري عددهم سبعة أو ثمانية وعند الباب وقف ليودعهم

سحبوا خناجرهم وغرزوها في صدره وعندما وقع على الأرض سحب بروتوس خنجره ووضعه برقبته فقال القيصر كلمته المشهورة (حتى أنت يابروتوس) .

وهكذا قضي على القيصر غدراً وكانت صديق القيصر جوليانا تحفظ هذا الحادث عن ظهر قلب القيصرة عينت أخاها أو ابنها وهكذا انتهى القيصر ولم تتزوج القيصرة والقيصرة الثانية هربت من روما باتجاه اليونان ولم يعرف وحيدها بعد وهكذا كان فعلاً وأصبح مثلاً للغدر (حتى أنت يا بروتوس) . . .وكانت جوليانا التي كانت صاحبة الخان جوليا تعرف قصة اغتيال القيصر عن ظهر قلب وعندما وصلت إلى منطقة البلقاء . صادفت القائد الروماني في بيزنطة لحمايتها في الخان وعند الصفقات التجارية مع العربان من أجل شراء الخيول للجيش الروماني والنمور والإبل واللحوم والجلود وكل ما يتعلق بحياة الإنسان في ذلك الزمان وتمر السنون .

كان قبل الإسلام على طريق قوافل التجارة خانات يرتاحون فيها أصحاب القوافل والتجار ويطعمون رواحلهم وإبلهم وخيولهم وينامون يوماً أويومين في الخان .

وعندما يقتربون من بلاد الشام يرتاحون في خان كبير في البلقاء وهذا الخان كان تحت الحكم الروماني وكانت تديره امرأة اسمها شاسا وهي على درجة من الثقافة وتاريخ رومانيا وتتكلم الآرامية والسريانية والعبرية . كانت قوافل العرب هذه العشائر من قريش وهوازم وأوس والخزرج وقريظة وبنوالنضير تأتي صيفاً إلى بلاد الشام وشتاء إلى اليمن وكان من أشهر زعماء هؤلاء التجار الكبار أبوسفيان وأبوجهل وأبولهب والعاص وكانوا دائماً يأتيان اثنان اثنان حتى يحافظوا على مكانتهم الاجتماعية وكانوا أربع أصدقاء وكل منهم من بطن مختلف فهم من أربع بطون ولكنهم جميعاً من قريش هؤلاء التجار كانوا ينزلون في الخان والخان ملئ بالنساء الغانيات والعزف . وكانت شاسا مديرة الخان في البلقاء وهي صديقة للقائد الروماني في المنطقة وهي على علاقة بأبي سفيان وأبي جهل وأبي مهيب . . . كانت تحدثهم من الحكم الروماني قبل الميلاد وكيف اغتيل يوليوس قيصر . . . كان يوليوس كبير عمراً واجتاز الخمس وخمسين آنذاك وكان مغامراً من ناحية النساء وكانت له صداقات مع النسوة وقيصرة وفي مشاكله وتراقبه فهوعشق زوجة أحد الضباط والأرستقراطيين وكانت جميلة جداً فأرسل زوجها بمهمة عسكرية لا يرجع بعدها . وأصبح له علاقة معها ونقلها لا يرجع بعدها . وأصبح له علاقة معها ونقلها إلى قرب قصره في روما وكان يحكم من اسبانيا حتى البحر الأسود شرقاً ومن شمال أوربا حتى شمال أفريقيا جنوباً . وكان يود

الإصلاح وقد تأثر الإصلاح بالثقافة اليونانية سقراط في كتابة الجمهورية المثلى فأراد أن يحرر العبيد في هذه الإمبراطورية الشاسعة وأدخل كثيراً من الفلاحين والعبيد في مجلس بين هؤلاء كان شاب وسيم ومثقفاً هوابن الضباط وأمه عشيقته القيصر ، أدخله في مجلس الشيوخ وهوفي سن مبكرة اسمه (بروتوس) .

كان بروتوس مثقفاً جداً بسبب دراسته تعاليم أرستقراط والاسكندر وأفلاطون وفيثاغورث لكنه كان حزيناً لأنه عرف أن هذا القيصر قد خرب عائلته وابعد أباه رغم أن أباه من عائلة أرستقراطية . فكان يحزنه عندما يعيره أحد أعضاء مجلس الشيوخ يا ابن الزانية . . . وكان القيصر قد وعد أمه بأن بروتوس يعتبر ابنه وقد يعينه قيصراً بعده وقرب الأم أكثر ووعدها بأنه سيتزوجها رسمياً ولكن لم يفعل ذلك لأن القيصرة زوجنه الشرعية لديها ولد سيكون القيصر الشرعي وكان مجلس الشيوخ يدرك ذلك . . . فبدأت القيصرة تحفر لقيصر حفرة لا يخرج منها وخاصة بعد أن اجتاح الإسكندرية وأتى كليوباترة وابنها قيصرون . فأعجب بكليوباترة وبني معها علاقة غير شرعية وعاهدت بأنه سيجعل قيصرون قيصراً على روما فاضطربت أم بروتوس واضطربت القيصرة لأن كليوباترة من أحفاد اليونانيين وهي ولكنه الإسكندرية . . . ليست كأم بروتوس لذلك قررت التخلص من القيصر بسرعة وتورث ابنها العرش .

كان هذا الحديث من مديرة الخان إلى أبي سفيان الذي يجلس ويحتسي الخمر مع أبي لهب في البلقاء ثم انتقل الحديث إلى التجارة .

أنت تاجر كبير تأتي من قريش وغني جداً ويبدوأنها أغرتهم بأنها ستشري منهم لصالح الرومان إبلاً وأغناماً وخيول للجيش وبأسعار مغرية شرط أن تحصل على عمولة هي والقائد الروماني الذي يشترط ويوقع .

كانت تتقن الآرامية والعرب كانوا يتقنون الآرامية لأن التجارة بالآرامية والسريانية لكانت بيزنطة تحتل القدس وفلسطين وبلاد الشام غرب الفرات لأن الفرس من اجتياز الفرات وكانت شاسيا لبقة في الحديث في التجارة وأعلمتهم أن العملة بالذهب فأصبحوا على علاقة وثيقة معها وتؤمن لهم المنامة وبعض البنات اللعوبات وكان عندها عدد كبير من الغانيات في الفندق من أجل راحة النزلاء ،وكانت المرأة آنذاك شبه مشاعية ففي كل خمسين ليكون خان لراحة القوافل وكان هذا أكبر خان في بلاد الشام ، يجلسون فيه طويلاً لترتاح الخيول وتسمن ، وهذه الرحلة رحلة الشتاء والصيف تستغرق شهوراً وهناك

حراس على القوافل يرعونها في الأراضي الزراعية وكان من هذه الغانيات جوليانا صاحبة القائد الروماني مباشرة وهي تتكلم الآرامية وعدة لغات وقد هربت من روما لجمالها وخوفها من القياصرة وعشقت القائد الروماني في البلقاء وجعلها مديرة لهذا الخان (مثل الفنادق الكبيرة الآن في المدن) واتفقت مع أبي سفيان وأبي لهب أنها تبيع لهم أغلب مواشيهم مقابل الذهب بدلاً من تبادل السلع في دمشق وكانوا يبيعونها الخمور ينقلونها إلى مكة .

كانت التجارة رابحة مع أبي سفيان فأصبح من أغنى أغنياء قريش رغم أنه لم يكن كريماً لكنه كان فطيناً وخبيراً في التجارة وكان يتصور أنه سيتزعم قريشاً يوماً ما ، وكان يسمع للمديرة أحاديثها في التاريخ وقالت له أ، القيصرة الشرعية التي تأمرت على القيصر كان لها اتصالات مع رؤساء الكتل السياسية في مجلس الشيوخ الارستقراطي . وكانت على اتصال مع بروتوس وهوعضوفي مجلس الشيوخ الذي كان حزيناً فاتفقوا معه على اغتيال القيصر الذي خاف منه أعضاء مجلس الشيوخ لأنه أدخل كثيراً من الزراع والعبيد إلى المجلس والتاريخ يحكم الرومان ولذلك وافقوا مع القيصرة عل إزاحة القيصر لكن القيصرة أصرت على قتله لأنها خشيت من أن يتزوج كليوباترة ويعود ملكاً ويأتي بالزراع والعبيد أعضاء لمجلس الشيوخ وعلمتهم على طريقة الاغتيال .

إن القيصر يدعوكم للاجتماع ثم يتحدث كلاماً لا يرد عليه . وعندما يغادر على المجلس أن يحني رأسه وأنتم أعضاء الكتل السياسية في المجلس تغادرون لتوديعه عند الباب ويكون بروتوس واقفاً معكم وعندما ينحني بروتوس اضربوه بخناجركم المخبأة والضربة اللاحقة يكملها بروتوس وبعد ذلك يكون أغنى قيصراً على روما وأنا أعدكم بطرد الزراع والعبيد من مجلس الشيوخ ، وهكذا كان وأطرد كليوباترة أوهي تهرب نحواليونان وتهرب أم بروتوس من روما وهذا الحديث قاموا بفعلته قبل الميلاد بأربع وأربعين سنة . ذهب القيصر إلى مجلس الشيوخ وعندما ألقى وهم بالمغادرة وصاح بالرؤساء لتوديع القيصر وكان القيصر زاهياً ممتعاً باضاءات الرؤوس فاتحد رؤوساء الكتل السياسية وطعنوه بخناجرهم فوقع أرضاً وأغنى عليه بروتوس وطعنه في رقبته فنظر وقال حتى أنت يابروتوس .

وسمع أبوسفيان هذا الحديث التاريخي الطويل من مديرة الخان ثم عاد على الاتفاق معها على بيع الإبل والخيول وخاصة الخيول الصغيرة التي يحتاجها الجيش الروماني ووقعوا معهم عدة عقود وأن يصبحوا التجار المفضلين لدى الرومان في البلقاء وهكذا قضي على يوليوس قيصر وطرد كثير من الزراع والعبيد

من مجلس الشيوخ وعينت ابنها قيصراً على روما وهربت كليوباترة وابنها إلى اليونان ،أما أم بروتوس فقد اختفت ولا يعرفها أحد .

ولعلها انتحرت لأن القيصر خدعها ولاقى جزاؤه بسبب علاقاته النسائية مع الغانيات ومع كليوباترة .سمع أبوسفيان هذا الحديث التاريخي فراح يفكر أولاً بتجارته ثانياً كيف يتخلص من أعدائه الذين يقفون في طريقه هووأبي لهب وأبوجهل والعاص .

كانوا يشربون الخمر ويعاقرون النساء في الخانات وخاصة في هذا الخان التي تكتم أمرهم مديرته وتؤمن لهم ما يرغبون من النساء الجميلات وتأخذ العمولة هي والقائد الروماني صديقها وحاميها وهكذا كان الغدر في قيصر روما العملاق الذي حكم رومان اسبانيا حتى البحر الأسود .

كان في الزمن كان أبوسفيان يستمع إلى هذا الحديث وكان الحديث قد عشعش في دماغه وكانت الدعوة قد بدأت في مكة للإسلام وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهؤلاء القبائل الجاهلية إلى الإسلام وشيخ اللات والعزة والأصنام التي لا تفيد ولا تضر وقال إن الله بعثني إليكم بشيراً ونذيراً ولكن هؤلاء الأربعة قد تأذوا من هذه الدعوة وأرادوا أن يحسموها بطريقتهم حتى كتم الأمر أبوسفيان عن أبي لهب لأنه خاف من أبي لهب أن تثيره العائلية والقبيلة لأنه عم الرسول وكان أبولهب قد خطب بنات محمد رقية وأم كلثوم لأولاده وعندما سمع بكلام محمد (ص) فسخ الخطبة وقال لأم لهب دعيه يشتغل بابنته رقية وأم كلثوم حتى لا يشتغل بما يقول ولكن الرسول تابع رسالته .

وكيف يتخلصون من هذا النبي الذي شتم آلهتهم ونغص عليهم عيشتهم فحاولوا إيذاءه بل حاولوا أن يقتلوه ، فكر أبوسفيان وأبوجهل أنهم يختارون من كل بطن من بطون قريش رجلاً وهؤلاء الرجال يدخلون عليه فجراً ومعهم سيوف ورماح ويقتلون في غربته .

ودخلوا فعلاً ليقتلوه صباحاً وفوجئوا بأنهم لم يجدوه بل وجدوا طفلاً في سريره فتركوه وبحثوا عن زوجته فلم يجدوها .

فخرجوا وصمتوا وأرادوا أن يقتلوه ففشلوا فأرادوا إيذاءه فلم يجدوه لأنه توارى عن الأنظار فترة من الزمن حتى زاد عدد المسلمين في مكة ، وراح الأربعة يجمعون لا يؤمنون به يحاولون إيذاء المسلمين وخاصة من العبيد وقد قتلوا بعض المسلمين الذين أسلموا فهاجر قسم من المسلمين إلى الحبشة التي كانت تدين بالمسحية وملكها النجاشي ،وكان لهم تجارة مع الأحباش وكان العاص ابنه عمر ذكياً وفطيناً فأرسلوه

الصائبة من عنده وقابل ملك الأحباش وتحدث معه عن طرد المسلمين الذين لجؤوا إليه واستمع الملك على عمروبن العاص وقال له والله يا عمر لولم تكن لك تجارة معي لقتلتك عد واسلم فتكون ذوشأن في الإسلام اذهب ولا أعيد أحداً إليكم إلا برضاه وهكذا فشل عمر في رحلته إلى الحبشة . لكن مثل عمر بن العاص كمثل بروتوس في مجلس الشيوخ ، أمه كانت بغياً لها خيمة وكانت هذه الخيمة بناها لها العاص ويتردد عليها الأربعة أبوسفيان وأبولهب وأبوجهل والعاص . وولدت هذا الولد تحمله من أحد منهم وذهبت به إلى العرافة في مكة وقالت لها هذا ولد من أحد هؤلاء الأربعة فأخبرني من هوأبوه فنظرت في وجه الولد وهي تعرف الأربعة وقالت لها: من المؤكد أنه يشبه العاص أكثر من غيره وتبناه العاص لأنه ابنه وحررها من خيمتها وأضافها إلى زوجاته وكان في ذلك الوقت زعماء القبائل يتزوجون من هؤلاء النساء .

فصل

طلحة بن الربيع كان الربيع من زعماء قريش وهوليس أغناهم ولكنه غني ، وكان يقود تجارة من قريش إلى الشام أحياناً ، ويرافقه ابنه طلحة ، وكان طلحة بعمر ست عشر سنة وذلك في الجاهلية وكان وسيماً وشجاعاً ، ويعد من فرسان قريش وحينما غدا في الثامنة عشر كان يرسله أبوه في قافلة لحراستها ، ثم يعود رابحاً ولم يحصل له مكروه ، وكان الربيع قد خطب له بنت محمد زينب وأمها خديجة بنت خويلد وكانت خديجة من الأغنياء أيضاً ومتزوجة من محمد قبل الإسلام في الجاهلية ، وكان عمرها أصغر من طلحة بسنتين ، واعتقد أن والده الربيع قد توفي وهوفي العشرين من العمر وذهب في تجارة لقريش إلى الشام ، والمسافات معروفة تحتاج إلى أكثر من شهرين للوصول على الشام ، حينما يرتاحون في الخانات ، وكان أميناً وصادقاً في تجارته وأمانته لمن يرسل معه ، كان الميسورون من قريش يرسلون معه بعض موادهم لتباع في الشام ، ويحضر لهم القمح والنسيج والثياب ثمناً لها ، وفي رحلته الأخيرة استغرق وقتاً طويلاً أربعة أشهر أوأكثر وحينما عاد وجد أن الدعوة للإسلام قد بدأت وأن النبي محمد (ص) قد بدأ دعوته في قريش ، وأسلمت زوجته زينب ، وفي الإسلام لا يجوز لمشرك أن تبقى امرأته على ذمته ،

فطلبت منه زوجته الإسلام لكنه كان شرساً وغاضباً فطلقها ولكنه لم يقتلها فأعادها إلى أمها خديجة لأنه لم ير محمداً ورفض أن يشاهده ، وكان عنيداً وشرساً وهكذا كما كان أبوه أيضاً مقاتلاً الربيع . . .الربيع كان مقاتلاً وعنيداً وهوفي بطون وأشراف قريش ، ولكنه كان يحب زينب في نفسه ، وتابع تجارته ولم يسلم وبدأ الصراع بين الرسول (ص) وبين المشركين من قريش ،وخاصة الصراع العائلي بين عمه أبولهب عن العزة الذي كان قد خطب ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم لولديه عزة و ظناً منه أن خديجة ومحمداً يلتهون في فصل هذه الخطبة ، ولكن الرسول (ص) تابع نشر الإسلام وأسلم معظم شرفاء قريش وأولهم أبوبكر الصديق وزوجته خديجة وعلي بن أبي طالب ، ثم بدأ الناس يستمعون إلى أقواله ودعوته فالفقراء قد يسلمون سراً لأنهم يخشون من أولياء أمورهم ، مثل العبيد والاماء ، وبدأ في الدعوة وهم بدؤوا يؤذون الرئيسي . وتخطى الرسول آنذاك مع صديقه أبي بكر الصديق رضي الله ، وغابوا فترة من الزمن ولكنهم كانوا يرسلون مايهبط على النبي من آيات ، وكان في مكة بعض القبائل اليهودية مثل بني ثريز وبني النضير وغيرهم ، وكان هناك ايضاً قبائل تدين بالنصرانية ، وكانت اليهودية قد مضى عليها عدة القرون ،أما النصرانية قد مضى عليها حوالي ستة قرون إلا قليلاً ، لكن الكنيسة كانت قد انشقت على نفسها ،وخاصة بعد أن دخل التجار فيها وأصبحت في مكة المسيحية تسمى بالناطرة وعلى رأسهم القس خويلد خال حويلد وهوايضاً كان من تجار قريش وزعمائها ، وكان دار الكنيسة بيت ابراهيم الكعبة وحوله التماثيل اللات والعزة التي تدان بها بعض القبائل العربية وخاصة قريش وهوازم وكثير من القبائل العربية ورغم أن هذه المنطقة فقيرة زراعياً ماعدا التمر وكانوا يربون الإبل والخيول ويغيرون على بعضهم البعض ويسبون النساء وكانت المرأة شبه مشاعة آنذاك ، أما طلحة فقد تابع تجارته ولم يتوقف عنها ،وفي طريقه حينما يصل البلقاء كان ينزل في الخان الكبير التابع للرومان التي تديره شاسا وقد كبرت قليلاً ونائبتها جوليا ، وكانت جوليا على قدر من الجمال حيث هربت من روما إلى بيزنطة خوفاً من أحد ضباط الرومان الذي قد يخطبها ولا يتزوجها ،لاسيما أن هؤلاء الضباط متزوجون ، فهربت إلى القدس ، فعينها القائد الروماني معاونه لشاسا وكان طلحة شاباً وسيماً لا يتجاوز الخمسين والعشرين

وقد أعجبن به ولكنه كان حزيناً فسألته عن السبب ، فروى لها قصة زواجه من بنت محمد وأن عمه ادعى النبوة ودعا إلى الإسلام فاستجاب له مع أمها وأبيها فطلقتها رغم حبي لها ولي ولد منها.طلقتها لأنها أسلمت دون أن تأخذ رأيي ، كان من الممكن أن اسلم معها لكنها تجاوزتني ولذلك أفكر فيها دوماً وبولدي الذي معها .

النساء كثر ولكني لن أتزوج غيرها زواجاً رسمياً هناك الجواري الكثيرات ؛ قالت له جوليا: ويحك يا طلحة هل تتزوجني وأنا نصرانية . قال لها : لن أتزوجكي لا أنتي ولا غيرك ، ولكني حين أصل إلى هنا أرى كثيراً في هذا الخان من الجميلات وأنتي أجملهن ، ولي معك علاقات غرامية دون الزواج ، فأجابته: ويحك يا طلحة ، لماذا لا تسلم وتعود إلى زينب ؟ فقال: لقد هاجرت وهاجر أبواها إلى المدينة وجرت معركة بين قريش وبين النبي في بدر وأسرت فيها وكنت من أطبال قريش في المعركة ففكت آسري زينب بقسم من مصاغها وعدت إلى مكة وإلى تجارتي والآن أنا قلق دوماً وحزين لأن زينب فكتني من الآسر في بدر ، فقالت: أنا أدعوك هل تعتقد أن هذا النبي على حق؟ فقال لها: لا أدري ، قالت: عندنا في الخان قس (راهب) يدعوكل يوم أحد في قاعة كبيرة الناس في الخان والعاملون والغانيات كان يدعوهم ليشرح أمامهم عن المسيحية وتعاليم وتلاميذ المسيح ، وأنت تعلم أن قيصر روما منذ أن ظهر المسيح كان ضد المسيحية ، وكان قد أعدم الكثيرين وكان له زوجة اسمها هيلانة أوبربارة وإنني لا أدري ما اسمها أما بربارة أوهيلانة وكان القيصر قاسياً وعنيفاً ضد المسيحية ويبدوأن أحد الرهبان قد وصل إلى أمه وشرح لها أنهم لا يريدون ملك القيصر ويريدون مساعدته ، وأنه إذا تبنى المسيحية يقوى ملكه ويشتد ، وهم لا يرغبون في السلطة ، فقط يريدون الدعاء إلى الله والأم مقتنعة بتعليم القس ، وفكرت أن هؤلاء القساوسة والرهبان الذين يعدمون في أنحاء الامبراطورية الرومانية وفي شمال أفريقيا وفرنسا وإسبانيا ليسوضد القيصر فلماذا يعدمهم القيصر ؟ فحاربته المسيحية فاجتمعت مع والدها وحدثته عن المسيحية ، وأن هؤلاء القسيسين لا يبغون ملكك هم فقط يدعمونك ، ففكر يا بني إن الناس يتزايدون كل يوم رغم إعدامك للرهبان ،

الناس يعتنقون المسيحية ففكر بذلك إذا كان الرهبان لا يريدون ملكي ويعتبروني رئيسهم فإني موافق فأقنعته وأقنع هوهيلانة زوجته التي أيدت أمه ، وكانت المسيحية قد تسربت إلى بعض الشيوخ في مجلس الشيوخ ، وعندما طرح الفكرة انقسم المجلس على نفسه ، فمنهم من أيد ومنهم من اعترض ، والأكثرية مؤيدون فشرح لهم شرحاً وافياً فأقنعهم بأن هذا الدين المسيحي لا يعترض مشاريعكم الاقتصادية فأيدوه بأن يكون هوالقيصر رئيس الكنيسة المسيحية في البشرية ولكن قالوا له: تكون رئيس الكنيسة المسيحية في الامبراطورية وهي البيزنطة في القدس وقسطنطينية في تركيا والدعوة تعم البشرية باسمك فأصدر مرسوماً بأن الامبراطور الروماني ( ) وبأن قيصر روما العظيم تبنى المسيحية ديناً للدولة وهورئيس أساقفتها ورهبانها جميعاً فما رأيك يا طلحة ؟

كان حديثها واضحاً وقالت له : لنسأل القس هنا يوم الأحد وتسمع له فقد تعتنق أنت النصرانية ولكن لا تعود لك زينب إطلاقاً إلا إذا أسلمت ، فحضر طلحة في هذه القاعة يستمع إلى القس وكان يعرف الآرامية والسريانية لأنها لغة قريش التجارية ، وحين انتهى من وعظ القس ذهب طلحة إلى هذا القسيس فظنه ممن يرغبون باعتناق المسيحية وبطرس الرسول ، فقال له: أريد أن أسألك سؤالاً وحكا له قصته ، فأجابه القس نحن عندنا في التوراة والأناجيل إنه سيظهر نبي في هذا الزمان في بيت إبراهيم خليل في مكة ويدعوإلى الإصلاح وإلغاء العادات القبلية عند عشائر العربان من وأد البنات وقطع الطرق ..والربا والزنا ... هكذا يدعوإلى الآله الواحد ... وهورسول الله .

فحدث القس عن مشكلته مع هذا الرسول وهولا يؤمن به ، فقال له القس : هذا شآنك وليس شآني ، ولكن هذا الرسول سينتصر عليكم جميعاً ... ففكر وعاد في طريقه إلى مكة وحين اقترب من المدينة تذكر زوجته زينب وحزن لذلك وفجأة طوقته فرسان من يثرب والخزرج ووقف أمام هذه القوة إما أن يستسلم أويقتل ... فاستسلم فآسروه وساقوهم إلى المدينة ، وسمعت زينب بذلك فهبت بسرعة إلى والدها الرسول (ص) تقول هذا طلحة من الربيع من أشراف بني قريش زوجي في الجاهلية ولا يزال فيها

.. وأنا أدفع ما ترغبون لتحريره ليذهب على مكة .. ودفعت ما يطلب منها وفكته وقالت له : ويحك يا طلحة ألم تهتدي وتعود إلى رشدك وتنسى غضبك علي؟ ، فسكت ولم يجب ، وغادر هووقافلته المدينة إلى مكة وهناك وزع ما آتى به إلى الشام على أصحابها وأخذ نصيبه منها ، ثم وقف أمام الكعبة بعد عدة أيام وصاح بصوت عالي .. يا أهل مكة هل لأحد عندي دين أوفيه له ؟ فقالو: لا .. هل لأحد بزمتي أولا يصدقني ، فقالو: أنت ابن الربيع ..فصاح بصوت عالي : أشهد أن لا آله إلا الله وأن محمد رسول الله لا شريك له نصر عبده ووحد جنده ، فأراد بعض الفرسان المشركين أن يعترضوه فعرض عليهم القتال فتركوه فذهب إلى المدينة وأعلن إسلامه أمام الرسول .

فقال له : يا طلحة عد إلى زينب بما أنك لم تتزوج غيرها ، رغم أنك كنت فارساً ضدنا في بدر ولكن الإسلام يجب ما قبله ، وهكذا عاد طلحة إلى زينب زوجته وقاتل قتالاً شديداً مع المسلمين ولكن الإسلام يقوى يوماً بعد يوم .

وتسلم القبائل واحدة تلوالآخرى واستشهد طلحة في تبوك وماتت زوجته زينب في الولادة ودفنت في البقيع وصلى عليها عبد الرحمن بن عوف وهكذا حينما أصدر قيصر روما مرسومه بتبني المسيحية أعلن يومها هذا المرسوم عبداً لبربارة ، فكان عيد البربارة في روما ولكن كما يقولون في بيزنطا أن بربارة كانت امرأة في منطقة ( ) وحينما ظهرت المسيحية كان القيصر يعدم القساوسة والرهبان ، وهربت من أبويها وكان أبوها ضابطاً فقبض عليها وهي مختفية في حقل من القمح .. فأرادت عيون القصر إعدامها لكن اباها قال أنا أعدمها فقطع رأسها وفي يوم إعدامها كانوا يقطفون القمح ويسلقونه فكان عيد البربارة في الشرق والغرب.

أعتقد ولست جازماً هذا ما حدث لطلحة بن الربيع ، وهذا ما حدث له في مكة وفي إسلامه قاتل مع المشركين قتالاً شديداً وقاتل مع المسلمين أيضاً قتالاً شديداً واستشهد في تبوك .

حينما اشتد ساعد المسلمين ألغى الرسول (ص) معاهدة اتفاق حلف الحديبية ، حيث أتى إلى المدينة أبو سفيان ومعه بعض من قريش ليمددوا صلح الحديبية سنة .

وكان النبي (ص) قد تزوج من أم حبيبة بنت أبي سفيان ومات زوجها هناك ، فأرسل أخاه جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ليستطلع الأمر فوجد أن زوج بنت أبي سفيان قد توفي بمرض وله بنت اسمها حبيبة فسميت أم حبيبة ، فعرض على النجاشي أن يتزوجها ، وكان ملك الأحباش هو زعيم الكنيسة القبطية في أفريقيا ، فقال له : يا جعفر إني مؤمن بمحمد أنه بني ورسول الله ، ولكني إذا أسلمت سأترك الملك أما أني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فنقل هذه الرسالة إلى رسول الله وأتت معه أم حبيبة وتزوجها الرسول (ص) .

وحينما أتى أبو سفيان للمدينة ليجدد صلح الحديبية سنة دخل إلى غرفة ابنته أم حبيبة فأراد أن يجلس على البساط فقالت له ابنته ويحك أنت كافر ، لا تجلس في مكان يجلس فيه رسول الله . . .

اخرج من غرفتي . . . فاحمرت عيناه وكاد أن يضربها ، ولكنه تمالك أعصابه ، وخرج هو ومن معه وغادروا ؛ فاعتبر صلح الحديبية منتهياً ولم يمدد .

واستعدت القبائل المسلمة ليوم العمرة ولكنهم كانوا مستعدين لفتح مكة ، فبعثوا رسولاً يخبر أبا سفيان ومن معه أننا أتينا نعتمر ، فقالوا إننا معكم في صلح . قال لقد نقضتموه ولم توافقوا على انتظار النبي (ص) ، فإن شئتم القتال فنقاتل ، وخاف أبو سفيان من هذا الرد ، وسارت بعض القبائل المسلمة إلى مكة وهنا تختلف الروايات حول الرسائل المتبادلة بني أهل مكة وبين النبي (ص) ، فشاهدوا هذه القبائل التي أحاطت بمكة من كل حدب وصوب ووافقوا أن تدخل هذه القبائل سلماً . بغير حرب ولكن النبي (ص) قال لا يمكن أن نصلي بالكعبة وهذه الأصنام حولها ، سنهدمها ، فذهب أبو سفيان إلى النبي واستقبله أبو ذر الغفاري ؛ وكان أبو ذر الغفاري مسؤولاً عن القسم المالي الزكاة التي تجمع من المسلمين ، وقال لهم سأدخلها سلماً أو حرباً كما ترغبون . . . قال أبو سفيان ادخلوها سلماً ولكن ماذا تصنعون مع فرسان قريش ، فقال أبو ذر : كما يقول النبي (ص) ، فقال له يا أبو سفيان .من كان أعزلاً فهو آمن ، ومن دخل بيته وأغلق بانه فهو آمن ، ومن شهد أنه لا إله الله وأن محمداً رسول الله عبده لا شريك له فهو آمن ، ووافق أبو سفيان على ذلك .

ولكن أبا سفيان طلب من أبي ذر أن يقول كلمة ثانية . . . من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن . . . ولكن كان النبي (ص) في كل غزوة ترافقه إحدى زوجاته . . . وفي هذا الفتح كانت ترافقه زوجته بنت أبي سفيان ، فرجت رسول الله أن يكرم أباها لأنه غدا قريباً من الشيخوخة ، وكان آنذاك قد قطع الستين من العمر ، فقال من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن .

وعاد أبو سفيان ومعه أبو ذر وخالد بن الوليد ، وكانت قريش تترقب اتفاق أبي سفيان ، وبلغهم ما قيل له ، وخاف المشركون . . . وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان فأمسكت ذقن أبي سفيان وقالت ويحك اتبعت محمداً ، قال : اسكتي يا امرأة وإلا قتلتك ، فدخل المسلمون إلى الكعبة وهدموا أصنامها وصلوا فيها ، لكن بعض المسلمين الذين كانوا الشتامين أمثال أبو جهل أو أبو لهب ولم يكن أبو لهب كما وصفوه المؤرخون بأنه أحول قصير .

كان هاشمياً طويل القامة جميلاً وكان قد زوج ابنيه شيبة وشيبة من بنتي الرسول رقية وأم كلثوم وأمرهما أبو لهب أن يطلقوهما ففعلا ، فقال أبو لهب دعه يلتهي بابنتيه ، لكن ابنه حويطب وهو عمره في الثلاثين كان له عيال وكان شاتماً للنبي (ص) في جاهليته ولم يسلم ، فخاف كثيراً ، وهرب من مكة ، ولكن ابنه يهرب عياله ، فوزعهم على بيوت جيرانه المشركين الذين دخلوا على بيوتهم وأغلقوا الأبواب ، ولكن أين يهرب هو ، قد يقتله النبي لأنه كان يؤذي رسول الله بالشتم ، وهو ابن عمه شتاماً أكثر من حويطب ، وكان يؤذي الرسول في أحاديثه ويؤذي المسلمين . . . وكان الاثنان حويطب وعكرمة من فرسان الجاهلية . وبما أن أبو جهل وأبو لهب ماتا . . .

فأصبح هؤلاء خطيب وعكرمة لديهم قافلة تجارية يذهبون بها إلى بلاد الشام وإلى اليمن وأصبحوا تجاراً مرموقين في مكة . . . .ولكنهم كانوا أحياناً يقطنون طرق القوافل لذلك صاروا يذهبون مع البحر من مكة إلى جدة فالشام وكانوا ينزلون في الخانات ، وكانا يشربان الخمر وأحياناً يلعبان الميسر ، وفي خان البلقاء كانا يستقبلان كتجار كبار ، وأبناء تجار سبق لآبائهم ، وكانت تستقبلهم المديرة جوليانو وهي جميلة ، لكنهما كانا قلقين وكانت جوليانو عالمة بنفوس الرجال الذين ينامون في الخان ، وكانا يتحدثان عن مصدر الإسلام ، وكانت تستمع إليهما جوليانا وتناقشهم أحياناً ، ومرة وفي أثناء النقاش كما تقولون أنكم لا تأمنون جانب هذا النبي إذا اشتد عوده وازداد المسلمون فيقطعون عليكم الطرق ، ولكن قلقهما جعلهما يجتمعان مع القس الذي قال لهم والله هذا النبي سينتصر عليكم .

لكن جاهليتكم غلبت عليهم ، فآذوا النبي وعادوا بقافلتهم ، واضطربت الأحوال حول تجارتهم وقوافلهم ، وبما أنهم يلعبون الميسر فقد قلت مواردهم وأصبح خطيب يستدين أحياناً ، وحينما كان الفتح هرب حطيب وخبأ عياله عن الجيران . . . ولكن لا يهرب فقد التجأ إلى جيران ليشاهد ماذا سيحل بمكة . . . فشاهده أبو ذر ، فقال له : ماذا تعمل هنا يا حطيب ، فأجابه إني أخشى إن شاهدني النبي فقد يقتلني ، فقال أبو ذر: ألم تسمع أن من دخل داره فهو آمن . . . فأجابه لقد آذيت محمداً (ص) كثيراً بكلام في كل مكان . . . لم أترك شتيمة إلا شتمتها أكثر من أبي لهب . . . وأخشى ثأره . . .

قال أبو ذر : يا حطيب عد إلى بيتك واجمع عيالك وأغلق بابك . قال له : أخاف من ذلك إلا إذا وعدتني أنت بأن تذهب معي إلى منزلي وإني أخشى من المسلمين ؛ فذهب معه أبو ذر ورجع عياله وأدخلهم .

ويحك يا حطيب اذهب إل رسول الله ونبيه محمد وهو ابن عمك وشرفه شرفك ومنعته منعتك وأسلم فقال لا أذهب إليه إلا إذا ذهبت معي . . . . فذهبا معاً ودخل أبو ذر وقال للنبي معي حطيب بن أبي لهب فابتسم النبي وقال فليدخل وقال أهلا حطيب .

علمه أبو ذر كيف يلقي السلام ويسلم فقال أشهد أنه لا إله الله وأن محمداً رسول الله .

فقال النبي أهلاً بحطيب اجلس . . . وجلس حطيب . . .

سأله النبي عن أوضاع عياله فقال إنهم في البيت ، فقال وأنت قال إن أوضاعي صعبة وعلي ديون . . . فقال الآن بعد أن أسلمت لا تلعب الميسر ولا تعاقر النساء في الخانات .

فأجابه : أمرك يا رسول الله ، فقال : أوف دبته وأعطه عدة نوق يعيش منها واتركه إذا رضي أن يكون مجاهداً معنا أو يبقى في منزله تاجراً فبكى حطيب ، وهكذا كانت قصة حطيب .

أما عكرمة فخاف أكثر من حطيب ، فركب الفرس وتقلد سيفه ورمحه وهرب من مكة نحو جده ، لكن زوجته أسلمت كما شأن مكة وبحثت عنه فقيل إنه هرب وهناك سيركب البحر ويهرب إلى أفريقيا ، فركب الجمل وأخذت إحدى عبيدها يرافقها ولحقت به . . .

كان وضعها صعباً وحيدةً والعبد الذي يجر الجمل معه سيف فحاول أن يراودها في الطريق بين مكة وجدة ولكنها غازلته وقالت له في الطريق هناك أناس وماطلته واستطاعت أن تصل إلى إحدى

القبائل في الطريق ، فدخلت بيت زعيم القبيلة وكان يعرف عكرمة وقالت له أنا زوجته ، ورحب بها زعيم القبيلة ؛ ثم انتحت به جانباً وقالت له هذا العبد يراودني عن نفسي وأخشى منه أن يقتلني إذا لم أقبل ، فأسر العبد وأرسل معها عدداً من فرسانه ليلحقوا بعكرمة ، وقال لقد مر عكرمة من هنا وحيداً وأنا استغربت ذلك فلحقت به .

وكان على شاطئ البحر يفاوض أحد المراكب لينقله إلى الضفة الغربية من البحر الأحمر ، فعرف أن زوجته أتت فاستقبلها وقالت له : أتهرب من مكة وقد قال الرسول (ص) من دخل بيته فهو آمن . . . قال : لقد آذيت الرسول كثيراً واعتبرت أنا عدواً له وقد يقتلني .

لقد أسلم حطيب ، قال مستغرباً وماذا حصل معه قالت له : لقد أعطاه الرسول مالاً ليفي ديونه وأعطاه إبلاً للتجارة وتركه يقرر هل يعود لتجارته أم يقاتل مع المسلمين فقال لها ولم يقتلوه فقالت : لا وأنت يجب أن تعود إلى مكة سواء أأسلمت أم لم تسلم وتذهب إلى رسول الله وتقول أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

عاد عكرمة معها إلى مكة وهو قلق ومضطرب وروت له قصة العبد ،فقالت أسروه وربما قتلوه لأنه خان الأمانة ، فعاد عكرمة ونزل عند زعيم تلك القبيلة وحدثه عن ذلك ، وكان الزعيم تاجراً كبيراً وليس هو زعيم كل القبيلة وإنما بطن من بطونه ، فقال له يا عكرمة عد مع زوجتك فهي أسلمت وإذا بقيت مشركاً فقد تكون طلقتك . . . . وهي غامرت من أجلك وأنت فارس قريش . . . قريش التي أسلمت ودخل النبي مكة وهدم الأصنام وصلى في الكعبة مع الجموع . . . ونحن والله حتى الآن لم نسلم ؛ فإما أن تلتجئ إلينا فنحميك أو تذهب مع زوجتك المسلمة . . . أنت حر . . . وكان مضطرباً وقال سأعود مع زوجتي لأرى مصيري .

وعاد عكرمة مع زوجته فنصحته بالذهاب إلى أبي ذر وكان أغلب الأوقات يجلس أبو ذر أمام باب خيمة النبي (ص) فيدخل عليه لخبره من القادم ، وحينما وصل عكرمة إلى مكة ذهب إلى أبي ذر وقال له أنت تعرف أبي وأنا لازلت جاهلياً وقد آذيت النبي كثيراً فقال أبو ذر : يا عكرمة ماذا قال لك القس في الخان وأنت مخمور عند جوليانا ، قال له سينتصر الرسول علينا ولم يقنع .

فقال ادخل وألق السلام وقل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ فأسلم عكرمة واستقبله الرسول بالترحاب وأجلسه قريباً منه وقال له يا عكرمة أنت من فرسان قريش في الجاهلية . .

. فقد أسلمت والإسلام يجب ما قبله ، فأنت اليوم فارس من فرسان الإسلام . . . فبكى عكرمة وسجد على الأرض يقبل الأرض وأراد أن يقبل أقدام رسول الله ، لكن النبي (ص) منعه وقال يا أبا ذر أعطه إذا كان محتاجاً أو عليه دين وأعطه إبلاً لمساعدة عياله .

وهكذا أضيف عكرمة إلى إحدى سرايا الإسلام التي ألفت من المسلمين في قريش قائداً لها واشترك في أكثر المعارك ضد هوازم . . . وعندما وصل إلى تلك القبيلة التي حمت زوجته فكر أن يقتل زعيمها وحاوره . وقال له : يا عكرمة لقد أجرتك فقال اسلم فأسلم ، وعاد عكرمة في ذاكرته يتذكر جوليا والخمر والميسر والقس ماذا قال له . . . . والآن وهو أمام زعيم هذه القبيلة شرد بأفكاره كلها . . . ولكن زعيم القبيلة أسلم .

وبدأت معركة هوازن عنيفة .

بعد أن أسلم عكرمة وحطيب وقال لرسول الله (ص) يا نبي الله : نحن نريد أن نجاهد في سراياك حتى نكفِّر عن ذنوبنا التي ارتكبتاها بحقك حق المسلمين في جاهليتنا . . . فابتسم النبي (ص) وقال لهم كما ترغبون وقال لأبي ذر أضفهم إلى السرايا التي أقودها مباشرة . . . واشترك الاثنان في معكرة هوازم القاسية ، استبسل فيها عكرمة بشدة وشاهد زعيم القبيلة الذي حمى زوجته من العبد فقال له ويحك هل ستقتلني ، فقال إذا أسلمت لا وإلاستقتل بيدي أو بيد غيري ، هناك فرسان مسلمون أشداء أمرس مني في القتال ، فأسلم الرجل أمام عكرمة وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وانبعثت قبيلة هذا الرجل إلى الإسلام وقتل زعيم هوازم بن الصمة ، وكان خفيف النظر فقتل وانتهت معركة هوازم ، فنزل الوحي على النبي (ص) بالمؤلفة قلوبهم ، ووزع الغنائم وعاد إلى المدينة ، وكانت بعد إسلام هوازم التفت إلى نبي قريظة ونبي النضر ، وأسلم من أسلم وهاجر من هاجر ودفعوا الجزية ، وفكر رسول الله (ص) أن يرسل جيشاً إلى الروم وجيشاً إلى الفرس ، وحينما أتى بتشكيل الجيشين وافته المنية ورحل إلى ربه الأعلى ، وتولى بعده صديقه أبو بكر الصديق وبدأت قبائل المسلمين تتململ وارتد بعضها في اليمن وقبائل في الخليج ، وجمع الصحابة وشاروهم وقالوا له يا أمير المؤمنين خفف الزكاة واترك الصلاة حتى لا يثور الجميع ضدنا ، فقال : والله لو كان رسن جمل يطلبه رسول الله لقاتلتهم عليه ؛ وحزم أمره وأطاعوه جميعاً وأرسل خالد بن الوليد إلى الخليج وأرسل علي بن أبي طالب إلى اليمن لمقاتلة المرتدين وهدايتهم . . .

وهنا عادوا إلى الإسلام إلا من قتل منهم ؛ وهنا عاد أمير المؤمنين إلى تشكيل هذين الجيشين واحد بقيادة خالد بن الوليد ونائبه المغيرة بن شعبة إلى العراق والثاني إلى الشام لمقاتلة الروم بقيادة أبي عبيدة بن أبي الجراح ونائبه يزيد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسم ، والتحقت هذه القبائل بالجيشين على فرسان وإبل وبغال وحمير وبرازين ، وجمع الصحابة وشاورهم فقالوا له يا أمير المؤمنين إن الروم قوة والفرس قوة فاستنفر اليمن وألحقهم في القتال ؛ وبما أنك عينت أحد الصحابة العشرة سعد بن أبي وقاص يجب أن تعين قائد جيش الفرس من الصحابة العشرة ، فوافقهم وعين سعد بن أبي الوقاص ونائبه المغيرة بن شعبه وكتب كتاباً لخالد أن يعود من العراق ليلتقي بجيش أبي عبيدة عند الروم ، ورغم أن المؤرخين والكتاب والشعراء ، أعتقد أنهم ظلموا خالداً ظلماً كبيراً ، لأن خالداً كان لبني مخزوم الراية في حلف

الفضول وهو كان يحمل هذه الراية وهو فارس مجرب ومقاتل هجومي ، وحينما سار من القادسية إلى الشام عبر الفرات واختلف هنا في الطريق ، فمنهم من يقول عبر دجلة عند الموصل على الجسر ، وأظن أنه اتجه إلى الرقة وكان هناك جسر بناه الفراعنة منذ مئات السنين .

وكانت بادية الشام ملأى بقطعان الغزال وكل أنواع الحيوانات المفترسة ، وكانت المياه فإذا كان عبر من الرقة فلا بد من مروره بالرصافة وهناك بحيرة حول الرصافة .

وهناك نهر بطول حوالي 80 كيلو متر ينبع من جبال تدمر ويصب في فيضه بزيم ؛ وهذا الوادي يسير صيفاً وشتاءً وعند احتلال الرومان لسوريا بنوا عليه سداً وكان مليئاً بالمياه ، وإذا كان قد عبر دير الزور فلا بد أن يعبر الخابور وبحيراته الشرقية ، ثم يتجه إلى تدمر . . . وفي الطريق الوديان ملأى بالمياه الجارية ، وهناك نهر يمشي من الجنوب إلى الشمال عند منطقة السخنة ، وحين يصل إلى تدمر فالمياه غزيرة ، وهناك بحيرة عذبة تجري جنوباً إلى منطقة اسمها (المقطع) وهي منطقة (التياس) وهذا المقطع يعبر منه المياه العذبة ويمر من هناك باتجاه شرقي القريتين ، وكانت القريتان موجودتين وسكانها مسيحيون ، ويمر في هذا الوادي نحو منطقة الرحبة والقطيفة ؛ وهنا تسير المياه دائماً ، وهذه المياه تعبر من مضيق شمال الضمير وتصب في بحيرة العتيبة ؛ وقد سلك خالد بن الوليد هذه الطرق فلا حاجة لأن يسقي الجمال ويبقر بطونها ليسقي الناس ، ولا حاجة لأن نظلم خالد أنه بقر بطون الجمال والدليل أنه حفر في الأرض ليخرج الماء .

ومن يعرف هذه البادية الملأى بالمياه حتى سنة القرن العشرين كانت كلها ملأى بالمياه .

(إن كاتب هذه الرواية في سنة 1948 في الربيع كان طالباً في حماه ثانوية ابن رشد داخلياً ، وقرروا رحلة إلى تدمر ودير الزور وكنا تسعين طالباً وعشرة أساتذة ، وذهبنا إلى تدمر ، فدعانا أحد الطلاب من تدمر ووالده كان قائداً لكتيبة العشائر فدعانا على الغذاء ؛ وكان قد نصب لنا بيتاً من الشعر ، وبعد أن تفرجنا على تدمر قبل الضحى وسبحنا في مياهها الساخنة ، وذهبنا إلى المضيف وكان برتبة نقيب وكان النقيب رئيساً آنذاك ؛ وفوجئنا أنه لكل أربعة طلاب صحن من الأرز وعليه غزال مسلوق وأربع طاسات لبن .

وهناك عنده الكثير من البدو فكان قد اصطاد قبل يومين مائة غزال وسلقها في القدور ووضعوا على كل صحن غزالاً ، وأذكر أنه بعد الغذاء ذهبنا إلى دير الزور وكنا نشاهد المياه في الطريق ، وحينما

وصلنا إلى السخنة توقفت الباصات وكان يرافقنا خط الهجانة التي تحت إمرته فأنقذنا وأنقذت الباصات من المستنقع ؛ وذهبنا قبل دير الزور بثلاثين كيلو متر وقعنا في المشكلة نفسها .) .

كان واد غزير تسير فيه المياه ، وشاهدت هذه المياه تسيل في الستينيات من القرن العشرين ، ومياه السخنة تسير حتى الآن وبني عليها سد ووادي بريم يسيل حتى القرن العشرين شتاء ، وشرقي القريتين هناك بحيرات (الدو) ، فهل يعقل أن خالداً بقر بطون الجمال أيها المؤرخون الذين ألفوا مسلسلات عن خالد في الباكستان والعراق والشام .

وخالد درس نظرياته العسكرية والعقل الهجومي عند كليات في أمريكا .

ونحن في القرن الواحد والعشرين لا نعرف تاريخنا .

فسار خالد بلوائه من القادسية إلى الشام بسرعة على خيول وإبل وبغال وبرازين ووصل خلال فترة قصيرة .

وكان عندما يرتاح ترعى خيوله في بادية الشام حتى تستطيع معاودة السير ، ومر من شرق بحيرة العتيبة وشرقي بحيرة الهيجانة وعبر من شرق جبل المانع نحو الصنمين . وصادف في هذا الطريق النهر الأعوج وكذلك نهر جنوب الصنمين يأتي من البلجانة وجبل السويداء ، وهذا النهر كان مستمراً حتى أواخر القرن العشرين ، وحتى الآن تسير المياه فيه شتاءً ، ويوجد عليه جسر وفي سنة 1960 كنت في إجازة من مصر إلى سوريا فذهبت إلى السويداء لزيارة عائلة صديقة لي وعبرت على هذا الجسر وكانت المياه متدفقة فيه .

إن خالداً بن الوليد رضي الله عنه كان فارساً مقاتلاً قوي البنية ذكياً فطناً ذو عقل هجومي فوقف بعد الصنمين يترقب اللقاء مع أبي عبيدة القادم من المدينة ، وكان في طليعة الجيش سرايا الاستطلاع حتى لا يفاجأ الجيش بكمائن أو عدو ؛ وكان قائد السرايا عكرمة بن أبي جهل ؛ وحينما وصل إلى خان البلقاء لم يقتحمه بسرايا ولكنه طوقه وتركه مفتوحاً نحو الشمال الغربي ووقف عن بعد من الباب لا يصله لهم وأرسل أحد فرسانه يحمل راية إلى الباب ودعا القس الذي في الخان ومديرة الخان جوليانا . . . فأتوا إليه ونظرت إليه وكان ملثماً ، فقال لهم : أمامكم ثلاث ؛ إما الإسلام أن تقولوا أشهد أن لا إله الله وأن محمد رسول الله وتقيموا الصلاة وتدفعوا الزكاة وتلغوا الخمر من هذا الخان ، أو تدفعوا الجزية

وأنتم صابرون ، أو الحرب فأقطع رؤوس كل من في هذا الخان فأرعبهم ، وهكذا ينبغي أن يكون قائد الاستطلاع ، فعودوا ومعكم حتى الضحى لأنه الجيش خلفي قادم وقد يجتاحكم سبايا وأسرى .

كانت جوليانا تحس أن هذا الصوت مسموع لديها ، لكنها لم تعرفه ، فعادوا وضرب الناقوس واجتمع الناس . . . فقال لهم القسيس هكذا نحن مطوقون ، فعلى الحرس الهروب أو يسلمون أو يدفعون الجزية ويسلمونا سلاحهم .

أما النساء إما أن تدفعوا الجزية أو تسلموا . . . وبدأ نقاش عنيف بين الناس ، وقرر القس أنه سيدفع الجزية لمدة شهر حتى يراجع القساوسة ، أما الجنود الحرس فقد ركبوا خيولهم وهربوا والتحقوا بالقائد الروماني ؛ وعادوا إلى عكرمة ضحى ، وقال القس : أنا أدفع الجزية لشهر ؛ أما جوليانا فقالت : إننا إذا أسلمنا ماذا نقول : قال تقولين أشهد أن لا إله الله وأن محمد رسول الله ، فقالت أنا سأسلم الآن أمامك وأرسل معي رجلاً من فرسانك حتى يسمع الإسلام الذين في الخان .

أما الخمر فقد نبيعه أو نكبه ، فقال ممنوع شرب الخمر ولعب الميسر ، وأنا أرسل معك رجلاً يتقن الإسلام ويعلمكم شروطه ؛ وكان يرافقه عبد له أسلم معه اسمه صعصعة فناداه فقال اذهب مع جوليان ، استغربت ذكر اسمها وسألته عن ذلك وقال لها : سيشرح لك صعصعة وأرسل معه امرأة كانت معه تعلم النساء عن الصلاة والوضوء .

وقال لصعصعة اكتب على القاعة الكبيرة (الجامع) الذي يجتمع فيه الناس للصلاة .

والجامع هو الذي يجمع الجماعة لحل مشاكلهم وتدبير أمورهم ، وغادر الجامع عندما اقترب الجيش فقد أرسل لأبي عبيدة أن الخان قد أسلم ولا داعي لاقتحامه ؛ فمرت هذه القوافل من حول الخان ، وتابع جيش أبو عبيدة واجتاح البلقاء وتوقف عند بصرى الشام لترتاح الخيول والفرسان في هذه السهول الممتدة من بصرى إلى غزالة ، وهناك التقى مع خالد بن الوليد وانتظم الجيش وتحركوا نحو اليرموك . . . وكان قائد استطلاع الجيش عكرمة بن أبي جهل ، وتقدم أمام خالد ، وكان يزيد بن الوليد نائب أبو عبيدة ؛ فنظموا المعركة واستطلعوا أرضها ، وساعدهم في هذا عكرمة وقال لخالد أيها الأمير هناك واد اسمه الواقوصة وهو منخفض حوالي 40 متراً وطوله 2000 متر فدعنا نستخدمه في هذه المعركة مع الروم .

وبدأت المعركة بعد يوم واحد من وصول الجيش ، والتف خالد وعكرمة من شمال الوادي نحو الروم واستطلعوا قوات الروم وكان جيش الروم كبيراً ؛ والتف ثم توقفوا في شرقه لكي لا تصل إليهم النبل ، فأغار الرومان باتجاه جيش الإسلام وكان أبو عبيدة وخالد على راية فسقط أغلب استطلاع الروم وقتلوا وحيثما سقط التفوا من شمال الوادي ليواجهوا الروم في هذا اليوم العصيب .

أما فيما يتعلق بالخان فبعد أن شرح لهم صعصعة والمرأة الإسلام الجهاد والجنة ، قررت جوليا أن تذهب مع بعض النساء والرجال الذين يخدمون في الخان على إبل وبغال ، ويحملون القرب الصغيرة فيملؤها ماء يسقي الجنود ويداوون الجراح ؛ فذهبت قبل أربعة أيام من بدء المعركة ؛ وكانت هذه مسافة الطريق من الخان إلى اليرموك . . . ونامت ليلتها عند بحيرة مزيريب ، وفي الصباح الباكر التحقت بجيش أبي عبيدة مع النساء الطباخات ؛ سألت عن عكرمة وكان الوقت ظهراً والمعركة على أشدها التحاماً فأجابوها لقد استشهد عكرمة صباحاً فركضت على برزولها وأخذت حربة معها وذهبت وحينما اقتربت منه أصابها سهم من الروم وعدة سهام لحقت بها وقتلتها وهي على بعد أمتار منه. . . وهكذا سقطت جوليانا شهيدة في اليرموك .

وحينما توقف القتال لينقلوا القتلى ويدفنوهم سأل خالد بن الوليد من هي تلك المرأة التي قتلت فقالوا هذه هي صاحبة الخان . . . ذهبت لتحضر جثمان الشهيد عكرمة بن أبي جهل .

فقال : رحمها الله لها الجنة .

ثم كان الانتصار على الروم انتصاراً ساحقاً وهرب الروم غرباً وتشتتوا وتجمع المسلمون واحتلوا البقاء بكاملها وطردوا الروم من منطقة حوران .

ولكن لم يتوقفوا عن القتال فقرروا بعد هروب الروم أن يذهب أبو عبيدة وخالد إلى الشام .

لكن القس الذي هرب إلى بصرى ومنها إلى الشام فاجتمع مع الراهب توما وعدة رهبان في دمشق ؛ وقال لهم لقد رأيت فرسان الإسلام ، وأعتقد أن صهر الإمبراطور حاكم الشام والحامية لن تصمد أمامهم ، فما رأيكم ؛ فقال له الراهب توما حتى سيصلون سأجتمع مع قادتهم .

هذه الرواية منها وثائقية حقيقية ومنها خيال قيل من قال .

أما فيما يتعلق بالخان فد تطور وأصبح كبيراً ومدينة أيام الخلافة الأموية ومركزاً تجارياً ضخماً ، وأصبحت مدينة كبيرة تقف فيها قوافل الحج من الشام إلى الحجاز وعندما تعود تقف فيها ، وغيروا اسم الخان إلى اسم معان وهي الآن مدينة لا زالت طريق الحج .

حينما يحجون في الباصات يقفون فيها وينامون وعندما يعودون يقفون فيها أيضاً .

وأصبحت محافظة اسمها معان شرق البتراء حوالي 40 كيلومتر .

لنعد الآن إلى القوات التي ذهبت إلى فارس وكان قائدها خالد بن الوليد وهو في الخليج ،وعندما استشار الصحابة قالوا له يجب أن تستنفر اليمن ،وخالد ليس لديه قوات كبرى فاستنفر اليمن وأشاروا عليه كونك أبو عبيدة قائداً لجيش الشام فيجب أن يبقى قائداً لجيش فارس من الصحابة العشرة سعد بن أبي وقاص.

وكان إسلام أبو عبيدة وسعد بعد اقل من شهر من الدعوة وأخذهما أبو بكر مع عثمان بن عفان وطلحة بن الزبير والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله في دار الأرقم وأسلم هؤلاء الخمسة ، والذي أخذهم هو أبو بكر الصديق (ر).

ولم يمض على الإسلام سوى شهر واحد ،ثم أسلم الحمزة بن عبد المطلب وهناك روايات غير دقيقة .هل أسلم عمر بن الخطاب بعد ست سنوات أم بعد ستة أشهر أم بعد ستين يوماً عندما أسلم عثمان كان عمره خمس وثلاثون سنة ومتزوجاً من سبعة نساء ،وبعد إسلامه بيوم تزوج برقية بنت النبي فأصبحوا ثمانية وعندما أسلم عمر كان عنده سبعة نساء وتزوج أم كلثوم بنت علي الثامنة .فهل هذا صحيح في التاريخ ،وكل منهم ثماني زوجات وعدد من الإماء العبيدات ،فلا أدري ولكن يقال عندما أسلم كان متقلداً سيفه يريد معارضة أحد المسلمين حول الكعبة ،فقال له المسلم لم تريد أن تقتلني فصهرك وابنتك أسلما ،وعمر كان أصغر من عثمان بعشر سنوات ،متزوج وأنجب وتزوجت ابنته وأسلمت هذا خطأ تاريخي.

لذلك أظهر أن إسلام عمر بعد 60 يوماً من إسلام الخمسة وأضيف إلى حماية الرسول وكان عمر مقاتلاً.

وكانوا من حلف الفصول ،وأظن عندما أسلم عمر بدأ يشهر إسلامه لأنه شجاع ومعروف في قريش وهو من الزعماء وأبوه كذلك ،مثل عثمان بن عفان جيشه حيث كان من

ولذلك أظن أن عمر لم يسلم بعد ست سنوات وكان شجاعاً وفطناً ،وعندما أسلم غدا من الصحابة وحينما كبر علي وأصبح في الخامسة عشر أضيف إلى الصحابة.

إن تاريخ الصحابة فيه كثير من المؤلفات شعراء عن ابن الجوري أبو البيهض أو مسلم أم ابن ماجة. فوقعوا في أخطاء كثيرة.

في المنطق العقلي إن إسلام أبي هريرة تأخر كثيراً وكان هو من قرية أبي هريرة على نهر الفرات غربي الرقة فذهب متأخراً ولم يشاهد الرسول إلا مرة واحدة وعن بعد ، وبعد أيام كان الرسول ولم يسلم عليه ،لأن الإسلام لم يصل إلى قرية أبي هريرة بالسرعة ولم يكن هناك وسائل إعلام.

لكنه بعد إسلامه استفاد من زوجات النبي وراح يحدث حتى بلغت أحاديثه كثيرة ،وكانت هذه الأحاديث قد يتقبلها المنطق فهي من خياله فلذلك جرى تزوير في الأحاديث ،فكتب التاريخ للشيخ أحمد يوسف الدلهوي قيل عن عن عن أبي هريرة فهذه الأحاديث غير مقبولة ومن دراستي لكل هذه الكتب وإطلاعي عليها والموسوعة الإسلامية ،هناك أشياء لا يقلبها المنطق ،فكل ما لا يقبله العقل والعقلاء والمفكرون فهناك فيه خلل فالتاريخ الإسلامي الذي قيل عن عن عن قد يكون مزوراً بعضه ،أعتقد أن عمر بن الخطاب كان من الصحابة الأذكياء والعقلاء والفطناء فهو عاصر الرسول وكان عمره حوالي خمس وعشرون سنة وعاصر أبا بكر سنتين وتول الثلاثة عشر سنوات وكان حازماً وعادلاً وزاهداً هذه صفاته.

وكان شجاعاً في القرارات وعندما غير خالد من القادسية إلى اليرموك وعين سعد من الصحابة العشر قائداً للقادسية وعين معه المغيرة من شعبة وهو من الطائف وكان قد أسلم مبكراً كان المغيرة من دهاة العرب ورافق سعد إلى العراق كما أخذه معه سعد القعقاع وابن الأزور وكان في كل جيش نساء للطبخ وإعداد الماء ترافق الجيش ورافقت خولة أخاها وعندما وصل سعد للقادسية كان معه معد بن كريب الزبيدي ومعه قبائل يمنية ومنها بعض المسيحيين لم تدفع الجزية فذهبت إلى الجهاد.

وحين وصلوا إلى العراق التحقت بهم قبائل شيبان والناذرة ،وذلك للثأر من كسرى والفرس وقد مات النعمان بن المنذر تحت أقدام القبيلة ،وهذه القبائل التي يحكمها الفرس وأصابها الذل التحقت بجيش سعد بن أبي وقاص.

وقبل بداية المعركة بأيام أرسل سعد المغير بن شعبة إلى كسرى ومعه ابن الأزور يرافقه واستقبلهم كسرى بعد هيبة كبيرة كرسي من ذهب وسجاد أحمر وكان الطقس بارداً فكانا يلفان أرجلهم في جلود الخراف ،ولباسهم عادي ومعهم سيوفهم وعندما شاهدوا كسرى على الكرسي الذهبي والبساط الأحمر وقادته حوله وكان كسرى يسمع بالمغيرة تاجراً كان المغيرة يتكلم الآرامية والفارسية فسألهم كسرى لماذا أتيتم لتموتون فأجابه المغيرة (للعلم أن المغيرة من الدهاة الثلاث معاوية وابن القاضي والمغيرة) فلم يحن

رأسه وقال له أرسل لك رسول الله كتاباً فمزقته...نحن أتينا لننفذ ما جاء كتاب رسول الله به...أسلم تسلم وأن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أو فالسيف بينا وبينك ،فصاح أحد القادة دعني اقطع رأس الرجل بسيفي...وقال كسرى إياك أن تضرب رسولاً مفاوضاً وقال كسرى اسمع يا مغيرة أنت تاجر فإذا كنتم جائعين أرسلنا لكم طعاماً أو لباساً عودوا من حيث أتيتم وإلا ستواجهون وأنتم كما تعلمون عبر التاريخ إننا ندعوكم ومعكم نساؤكم ونسبي نساؤكم ونعاقرهم أمامكم وإياكم والحرب معنا.ورد عليه المغيرة رداً قاسياً. قال :اسمع يا ملك فارس كسرى ،أنت حزمت كتاب(النبي) فإذا ما نشبت الحرب بيننا سنمزق عرشك ونسبي نساؤكم وأولادكم وأموالكم ونبيعهم في الأسواق.. فأطعني وأسلم وأقم الصلاة وادفع الزكاة وتحج ويكون جيشك من جيوش الإسلام أفضل لك.

فصاح ضباط كسرى لماذا لا تقتل هذا الأعرابي...فقال كسرى :والله لو لم تكن رسولاً وغير مسلح لقتلتك الآن.

اذهب من وجهي فقال المغيرة .فكر يا كسرى معك ثلاثة أيام وإلا فالحرب وليس لكم طاقة قبلنا ،لأن المسلمين أتوا لقتال الموت (الشهادة) عندما نغير لا نتراجع حتى نموت أو ننتصر والله أكبر.

وقال كسرى غادر من وجهي ومعه ابن الأزور وقال لسعد لقد بلغته الرسالة ولا خيار له لأنه يعبد النار والجزية لأهل الكتاب فقط ...ثم بعد ثلاث عاد المغير إلى كسرى فقال كسرى عد إلى ديارك فقال إذن هي الحرب.

وكان كسرى قد استعد جيشه وأفياله وسار بها إلى القادسية فكان قائد جيشه صهره زوج شهربانو وكان لديه منها أولاد وهكذا بدأت معركة القادسية واستغرقت عدة أيام وما قلت أبلوا فيها قبائل بنو شيبان ومعه بن يكون ابن الزبيدي والقعقاع والمغيرة بن شعبة في تلك المعركة وكان النصر لهم.

وزحفوا إلى المدن المقابلة لهم فهرب السكان إلى عاصمة كسرى وهناك التفوا حول العاصمة.

كان كسرى طاعناً في السن فلما سمع أن صهره قتل وأن الفيلة هربت وداست بعضها جيشه ،وأن انتصار سعد بن أبي وقاص ساحقاً وأنه بدأ يزحف على عاصمته ،وكان مريضاً فأصيب بنوبة قلبية ،فمات من شدة الخوف والغضب ، واجتاح المسلمون عاصمته ونهبوها وحرقوا ملكه وأسروا عاصمته وهربت زوجته وأسروا كثيراً من الناس وأسروا المدينة كلها وساقوهم وهدم القصر وساقوهم وباعوهم في أسواق البصرة والكوفة ،وحينما انتهت هذه المعركة وعين المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة واشترى كثيراً

من الأسرى في الكوفة ومنهم فيروز أبو لؤلؤة ، وهذا الفيروز كان يتقن العربية والآرامية والفارسية وكان يعمل حداداً لصناعة سيوف كسرى و روماحه ودروعه ولجم خيوله وسروجها وكان يحبه كسرى وحين يأتي إليه بعض زعماء قبائل العرب يأتي ليترجم له الكلام فاشتراه المغيرة وأضافه إلى عبيده والياً على الكوفة ،وبعد سقوط فارس وإسلام الجميع لأن من لا يسلم يقتل فمنهم يعبدون النار ،وقسم منهم لم يدخل الإسلام قلبه ،ولكنها طقوس لا بد منها ،فعرض فيروز على المغيرة إنني حداد أصنع السيوف والرماح والأسهم إلى المجاهدين في الإسلام ،فدعني أذهب إلى المدينة وهناك أصنع لهم الأسلحة ليقاتلوا بها أعداء الله فنحن مسلمون جميعاً فأقنع المغيرة أن يرسله إلى المدينة وهكذا عاش حوالي سنتين في المدينة ويصنع السيوف والخناجر والرماح واللجم للخيول ويبيعها... وكان يصلي كل يوم الصلوات الخمس في الجامع الذي يصلي فيه عمر.

وفكر أبو لؤلؤة أين هم أولاده وزوجته وأين بيعوا ،وكان قد شاهد بنت كسرى مشهد بانو التي تزوجها عبد الله بن عمر . وكان عمر قد تزوج قبلها أربع نساء ،فلم تكن شرعية فأضافها إلى الإماء ،وكان يحزن حين يشاهدها تحلب شاق أو ناقة وهي في غرفة لها ،وعندما تشاهده تدمع عيناها وتبكي بدون صوت .كان أبو لؤلؤة عندما يخلو لنفسه في غرفته التي ينام فيها وكانت سقوفه من العسف كان يتذكر تاريخه وكسرى ومجده القديم والآن لا يعرف أين بيعت زوجته وأولاده فيحزن وقد قرر بينه وبين نفسه أن يغتال المغيرة بن شعبة ،وقال إنه وال قيس مقابل كسرى إلا الخليفة ، وكان يجرب خناجره التي يصنعها أيهما أقطع وصنع خنجراً مستقيماً (في الشيرية) أطول من الخنجر ومستقيمة ورأسها كالإبرة وطرفاها حادان كان بعض الرجال يحلقون فيها ذقونهم ولها قبضة من الفضة وجربها عدة مرات في حداد السيف فكانت قاطعة وعاد يشحذها مرات ومرات ،وكان قبل يوم شاهد شهربانا وهز برأسه وقال لها اليوم في هذا الصباح غداً صباحاً ستسمعين خبراً صاعقاً أن أباك خرج من قبره ففجعت المرأة وخافت وفجراً في صلاة الفجر ذهب إلى الجامع وخنجره في حزامه ولابساً عباءته من البرد ،وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يصيح إلى الصلاة فجراً فيذهبون إلى الجامع ومنهم طلحة وعبد الرحمن بن عوف .

وضاع عمر بن الخطاب سووا الصفوف وأسرع إليه أبو لؤلؤة وطعنه في هذا الخنجر عدة طعنات وكان الخنجر عندما يضربه يخرج من ظهره فصاح لقد قتلني الكلب وهجموا عليه وبدأ يطعنهم وهو يريد الهروب ولكن عبد الرحمن نشر على رأسه عباءته مغماة فعض رقبته بخنجره وصاح قبل ضرب رقبته خليفة

بدل كسرى عدة مرات وانتحر وقتل في الجامع .عرف نفسه أنه سيقتل فانتحر ،وكان هذا أكبر غدر في تاريخ الإسلام.

مقتل الخليفة عمر بن الخطاب إن المنية على يد مجوس فارسي لم يؤمن حقاً. وأعتقد ويمر التاريخ أن إيمان الفرس قليل في الإسلام.

وذكر كثيرون عن متاعب عمر بن الخطاب الصحابة الذين هم على قيد الحياة وعلي بن أبي طالب كان قد تزوج ابنته أم كلثوم إلى عمر بن الخطاب وهي الثانية وكانت حاملاً واختلف المسلمون في سن عمر بن الخطاب 55سنة أو 59 سنة أو 62 سنة وهكذا ولكن هو أصغر من عثمان بن عفان بعشر سنوات والأرجح أن يكون عمره 62 سنة لأنه استلم الخلافة وعمره 52 سنة.

ولا أدري إن كان العقل يقبل أو لا يقبل بإسلام عمر....أن عمر أسلم بعد ست سنوات لأن عمر كان ذكياً وشجاعاً فقد أسلم مبكراً وليس كما قيل إن ابنته وصهره قد أسلما قبله فقد كان صديقاً لأبي بكر...وأبو بكر يكبره ب12 سنة.

روي عن سيدنا عمر أنه قال: لا تبكوا على الميت لأنكم تؤذونه وروي عنه أيضاً وصاياه إلى الصحابة ألا يتخاذلوا ولا يتوقفوا عن الجهاد حتى ينشر الله دينه في الأرض وروي عنه كثير من الأحاديث ،وكتب له تاريخ مشرف في خلافته استقامة وعدل وحق وتواضع ....هكذا كان وعنده أولاد وبنته حفصة كانت زوجة النبي (ص) وأوصى علياً بجمع القرآن قبل أن يموت للحفاظ.

عندما رحل سيدنا عمر ولحق بأبي بكر ورسول الله أوصى أن يجتمع الصحابة وينتخبوا خليفة للمسلمين وكان قد توفى منهم ثلاثة وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ،توفي في طاعون الجاموس واجتمع الصحابة وكانوا سبعة وانتخبوا عثمان بن عفان خليفة للمسلمين ،وكان عثمان من أول المسلمين بعد أبي بكر...الخمسة الذين اسلموا وكانوا صحابة رسول الله.

كان سيدنا عثمان متزوجاً وعمره 35 سنة عندما أسلم ،وقد أسلم بعد عدة أيام من بدء الدعوة في دار ابن الأرقم.

كان متزوجاً من سبع نساء وهو غني جداً ،أما عفان كان تاجراً من حلف الفصول وكان متزوج رقية بنت رسول الله بعد إسلامه بأيام وأصبح لديه ثماني زوجات وقد أنفق من ماله على الذين يسلمون ،وحرر كثيراُ من عبيده ،واستمر في مكة ولم يهاجر لأنه هو من زعماء قريش ومن بطن بني أمية بن عبد شمس وكان وسيماً جداً ومتواضعاً وزكياً وفطناً ولكنه كان يكره القتال وأمضى ثلاث عشرة سنة في مكة مع الرسول قبل الهجرة وقد توقيت زوجته رقية بنت النبي (ص) فأعطاه أختها (أم كلثوم) وكانت قد كبرت ،وكذلك توفيت خديجة الزوجة قبل الهجرة. وكان كثير من المسلمين قد هاجر إلى الحبشة ،وتوفي كثير من الكبار في الحبشة ، وكانت قد أسلمت بنت عمته ،فنصحته بأن يتزوج وقالت له أتريد ثيباً أم بكر ،فتساءل عنهما فقالت الثيب هي السودا بنت ردمة وهي من عمرك وتحسن إدارة بيتك وتزوج بناتك ،فقال ومن هي البكر فقالت له : عائشة بنت أبي بكر وكان عمرها حوالي ست سنوات.

فتزوج سودا بنت زمعة ولم يكن لديها أولاد ،كبرت عائشة وكانت قد خلقت في الجاهلية وأصبح عمرها حوالي 12 سنة أو أكثر...فتزوج الرسول قبل الهجرة ،وكانت هي الزوجة الثانية بعد سودا بنت زمعة ،وحينما هاجر إلى المدينة وناصره الأوس والخزرج كان قد تزوج مرة ثانية من أم عبيدة التي كانت مهاجرة في الحبشة وطردتها قبيلتها فتزوجها الرسول في المدينة ثم كان زواجه من زينب بنت جحش وكانت متزوجة من زيد بن حارثة وهي من بني مخزوم أصحاب الراية في حلف الفصول وقريبة من خالد بن الوليد وكان قد أسلم يزيد بن الوليد قبل الهجرة وهو شقيق خالد وفي هذا الصراع الدائر آلت الخلافة بعد الغدر لسيدنا عمر من قبل أبو لؤلؤة اجتمع الصحابة وانتخبوا عثمان بن عفان وهو أكبر من عمر بعشر سنوات .

وكان حليماً وتابع نهج عمر في القيادة لكنه كان حازماً في إدارة الخلافة في سبع سنوات لم يكن عليه أي غبار من أي أحد ،وكانت قد سقطت فارس بأيدي المسلمين ،وسقط الروم وطردوا من بلاد الشام ،وكانت الأموال تتدفق على بيت المسلمين من الزكاة...كما أن اليمن أصبحت خاضعة للخلافة وكانت المدينة هي إشعاع الإسلام إلى هذه الأقطار.

وأصبح المال وخاصة بعد عودة سعد وتعيينه المغيرة نائبه على العراق ،وأبو حمزة الأشقري ذهب إلى خراسان. وكان اليهود قد تركوا المدينة والطائف ومكة ،وكذلك أملاك هوازم والطائف والذين قتلوا في حروب الردة من المشركين المتشددين فأصبحت هذه الأملاك وفقاً لبيت المال.

اجتمع الصحابة بعضهم وعلى رأسهم طلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وطلب منه طلحة أن يعينه والياً على العراق وعبد الرحمن على فارس وخراسان وقال لهم أمير المؤمنين.

دعوني أنتظر وكان زوجته أم كلثوم لا زالت عنده ،وكان علي قد تزوج فاطمة بنت الرسول فكان عثمان وعلي عديلين ،وكانت عواطف علي مع عثمان لأنه عديله لأم كلثوم ،وكان عثمان قد كبر وغدا عمره حوالي الثمانين عاماً.

ويبدو أن أبا سفيان ومروان بن الحكم أقنعا أو أخذوا من أملاك الوقف أكثر مما يستحقون فاحتج عليه بعض الصحابة وأولهم طلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وسيدنا عثمان بن عفان.

فكر بأن المال قد يغري الصحابة ويستقلون عن الخلافة إن أنا أرسلتهم ، فدعا إلى الصحابة الستة الباقين أن يبقوا عنده في المدينة.

وليسوا هم بحاجة إلى الولاية ،فيستشيرهم في كل شؤونه...ولكنه اجتمعوا عليه بتوزيع الورق وأنه يحارب عشيرته أكثر وكان أول المجتمعين هم طلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف ومساعدهم زيد بن عمر واستعانوا بعائشة بإقناع عثمان بقصة الوقف الإسلامي فذهبت إليه وكانت رضي الله عنها قد أصابها رمد وقل نظرها وحاولت أن تقنعه أن لا يزعل الصحابة وقال لها أني لا أزعل أحداً ولكن هذا واجبي أمام الله ورسوله والشيخين من بعده فثارت عليه وعادت إلى طلحة بنت عبد الرحمن رضي الله عنه وأخبرتهم فأثاروا عليه مشكلة تتعلق ببيت المال وأن حصتهم قليلة ولكن لم يردوا عليهم إلا ليقول كما في شرع الله في القرآن الكريم ونبي الله(ص) والخليفتان أبو بكر وعمر من بعده لكن عائشة ثارت

وكان محمد(ص) منهم أبي وأشارت للعشرين وكان فارساً ومقاتلاً فأرسلت وكان عثمان قد عينه والياً على مصر العليا ، وعمرو بن العاص والياً على الاسكندرية.

وحين أتى شرحت له أن عثمان يخالف الشرع ويحابي أهله في توزيع الورق ،كما أثارت ضدها أم كلثوم زوجة عثمان لأنها تتدخل في شؤون لا تعنيها. وساعد أم كلثوم أسماء بنت عميش وكانت على علاقة مع عائشة غير جيدة لأسباب:

1- كانت أسماء متزوجة من جعفر بن أبي طالب ولها ثلاثة أولاد.

واستشهد في معركة قوية . وثم تزوجت أبا بكر الصديق وولدت له محمد بن أبي بكر ،وقد كبر فعينه عثمان والياً على مصر العليا ،كما كانت عائشة على خلاف مع زينب بنت جحش ،فكان النقاش عنيفاً بين هذه النسوة وكانت فاطمة قد توفيت بعد وفاة الرسول بشهرين أو أكثر ،وكانت حروب الردة قاسية فكلف علي باليمن وخالد بالخليج وانتهت حروب الردة ورحل أبو بكر (ر) وتولى الخلافة عمر فاغتيل وتولاها عثمان وهاهو الآن قد كبر في السن وتحسنت أحوال الصحابة وأحوال مسلموا المدينة .فبدؤوا يبحثون عن المواقع في الإسلام ،وكانت عند زينب أختها حمأة بنت جحش من بني مخزوم. وكانت زينب قد أسرت لها تاريخ عائشة وحادثة الافك .

وهذه حمأة قد نبشت التاريخ مرة ثانية سراً بين هؤلاء النسوة لأن عائشة كانت تكره أسماء بنت عمس لأنها ضرة أمها أم رومان لكن أخاها محمد بن ابي بكر أتى إلى المدينة ومعه بعض أصدقائه وحرسه سواء الثبط أو المسلمون ،وهنا توترت الأمور بين عثمان والقادمين من مصر ، وذهبوا إلى عثمان في جموع مع محمد بن أبي بكر ،وكما يتصور الإنسان في التاريخ فإن أصحابه لم يتحمسوا للدفاع عن عثمان وقلة منهم يطمع لأن يكون خليفة وخاصة طلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف لأن أبا عبيدة قد توفي وهنا طوقت دار عثمان ولكنه شعر وكان فوق الثمانين بأن خلافته حتى الآن حوالي 12 سنة وكان فيها رخاء للمسلمين. وكما قيل في التاريخ أن علياً أرسل الحسن والحسين للدفاع عنه أيضاً ولكن لم يذهب الصحابة إلى بيته فشعر بدنو أجله وكان يقرأ القرآن فطلب من هؤلاء المسلمين الذين أتوا للدفاع عنه الخروج من الدار وفتح الباب

والقرآن بيده فانقض عليه أحد القادمين من مصر أو أحد الذين كانوا يحرسونه من الفرس مثل أبو لؤلؤة وضربه بخنجر في رقبته فوقع شهيداً رضي الله عنه.

واجتمع الصحابة كل منهم يريد الخلافة وكان لا يزال مسجى ورفضت عائشة رفضاً قاطعاً ألا يدفن بجانب عمر في المسجد ودفن في البقيع.

هناك روايات كثيرة عن مقتله وكانت تأمل عائشة أن يكون الخليفة عبد الرحمن بن عوف ولكنهم أجمعوا على علي بن أبي طالب.و عين علي عليه السلام خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين ،لكنهم اشترطوا أن تكون خلافته على القرآن الكريم وسيرة الشيخين من بعده ولم يذكروا عثمان .

وكانوا قد بايعوه فأجابهم إن القرآن هو دستور المسلمين واجتهد في الباقية. وطلب منه أن يعين طلحة والياً على العراق وعبد الرحمن والياً على فارس.عندما ندقق في العقل هؤلاء البشر كأنها مظاهرة أحاطت في دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكانت المدينة تعج بمن أسروا من فارس ومن الشام بعد اليرموك وهؤلاء ادعوا أنهم مسلمين ومنهم من أسلم ولم يؤمن قبل أبو لؤلؤة.

وكان كثير منهم يجتمعون إلى أسيادهم أنهم في بيوت الوقف الذين هذا الوقف الذي كان يسكن فيه بنو قريظة وبنو النضير وهوازم فيوزع الوقف على الصحابة والمسلمين القدامى وكان احتجاج على أمير المؤمنين في هذا الوقت الكبير ،وكان بيت المال مملوءاً بالمال المتدفق من هذه الأنصار التي خضعت للمسلمين.

بدأ احتجاج الصحابة وكان تحريض عائشة على عثمان كبيراً واستدعت أخاها وكان والياً على مصر العليا .

لكن لنتصور هؤلاء الصحابة الذين أسلموا مع عثمان في بداية الاسلام وكان عمر أكبرهم 35 وأصغرهم علي وعمره (7) سنوات كما أن أصغر هؤلاء الذين اسلموا معه كان عشرون سنة وهو الزبير بن العوام وكان متزوجاً شقيقته لعثمان فهؤلاء أصغرهم اجتاز السبعبن إلا علي فكان عمره آنذاك حوالي ست وخمسون ستة . . . وعندما يكبر الرجل لا يستطيع أن يكون فارساً كما هو في شبابه فقد بدؤوا يركبون بدل الخيول الابل ،وعندما يكبر المرء يسعى لأن يزيد ماله وكأنه يريد أن يخلده المال أياً كان ،لذلك لن يقبل علي أن يبايع في اليوم الأول لأنه لا يزال عثمان أمير المؤمنين (ر) مسجى في داره . . . وحين فتح داره ومعه المصحف اندفع المتظاهرون نحو الداخل وضربه أحد المتظاهرون بخنجر في رقبته فقطع وريده وسقط أرضاً وأراد القاتل أن يهرب فتلقاه أحد المقربين وهو المطيع فقتله ، ولم يعرف هذا الرجل في التاريخ حتى اليوم ،أهو حبشي أم مصري أم ممن سيكون في مساكن الوقن من الفرس كابي لؤلؤة وهنا اختفت الجريمة ،فصارت تكال الاتهامات جزافاً ، ولم يتقل علي بالخلافة حتى يوارى الثرى ورفضت عائشة أن يدفن جانب عمر ، وكانت هي التي استدعت أخاها بناء على طلب أبي سفيان من أجل الوقف.لأنه مشكلة معقدة جداً ،ودفن أمير المؤمنين عثمان في البقيع ،وكانت زوجته أم كلثوم بنت الرسول توفيت في السنة التاسعة للهجرة . . . وكانت قد كبرت أيضاً . . . وهي كانت تنصحه كثيراً ، وكان عثمان مسؤولاً ايضاً مع ابي ذر لبيت المال ،فضاعت هذه الجريمة واتهم بالتحريض الذي قتل عثمان بن عفان محمد بن ابي بكر ومعه ثلاثة محمد بن أبي حذيقة اليماني والمطيع وشخص ثالث . . .

وبعد دفنه بويع علي بالخلافة وطلب منه طلحة بن الزبير والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف أن يولهيهم في فارس على الكوفة والبصرة وخراسان ،وقال لهم سأنظر في الأمر، وراجعوه في هذا ولم يقبل . . . رغم أن أبا سفيان أتى إلى المدينة وبايع علياً وقال له إنك أحق بها من غيرك منذ زمن ،وطلب منه أن يثبت معاوية والياً على الشام.

زحين غادر أبو سفيان إلى بلاد الشام وكان ابنه يزيد قد توفي في طاعون الجاموس عاد مرةً أخرى إلى علي يطلب منه تعيين أحد أقاربه والياً على البلقاء لكن علياً رفض . . . وهنا بدأ التحريض على من ابي سفيان وعائشة التي أقنعها أبو سفيان وعبد الرحمن وطلحة والزبير بن العوام الذي رفض علي (ر) أن يرسلهم ولاة وقال لهم ويحكم في المدينة فإنها بحاجة لكم وتكونوا مستشارين لي أستشيركم في هذه القضايا الكبرى ،ومشكلة هذا الوقت الكبير ومشكلة بيت المال ،وأنتم أصبحتم أغنياء أكثر من ايام

الجاهلية ،كان طلحة بن الزبير قد استفاد بجلد ثور من الذهب من بيت المال ،وكذلك الزبير بن العوام وهبد الرجمن بن عوف.وكان سعد بن ابي وقاص قد عاد من فارس ومات أبو عبيدة بن الجراح ومعه شرجبيل بن حسنة والقعقاع ويزيد بن معاوية في طاعون الجاموس فكان موضع علي صعباً وهو أصغر منهم سناً.

وحاولوا بعض الصحابة مخالفته ،حاول الزبير بن العواص وطلحة بن الزبير أن يذهب غلى فارس دون استشارته ،وقد أقنعوا عائشة أن تذهب معه ،وكون التحقيق في مقتل عثمان لم يصل غلى نتيجة لأن القاتل قتل . . . هل هو فارسي أم مصري أم من بقايا الأهواز أوبني المصطلق أو قريظة.

وهو مسلم يسكن في الوقت في أرض كان يملكها اليهود في المدينة ، ولم يكن يعرف هل هو عبد مملوك أم غير ذلك فطمست الجريمة حتى يومنا هذا ولكن اتهم بالتحريض أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام حرض محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيقة علي قتل عثمان والاشاعة تأخذ مجراها . . . ولكن علياً أعاد محمد بن ابي بكر والياً على مصر العليا ،وثبت عمرة بن العاص والياً على الاسكندرية . . . لكن الصحابة وخاصة طلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف رفضوا أن يدفعوا من مالهم الكبيرة ،وذكرهم علي بالثلاثة الذين يكنزون الذهب والفضة ماذا يحل بهم.

فاستنفروا عليه وكان طلحة بن الزبير والزبير بن العوام اتفقوا على الذهاب إلى العراق دون علمه ومعهم أتباعهم فكان لا بد من أن بالقوة وهنا كانت معركة الجمل باسم دم عثمان.

في معركة الجمل اجتعم عبد الرحمن وطلحةبن الزبير وعلي بن ابي طالب ،وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم جميعاً : يا طلحة (أ، طلحة ابن عمه علي) ألم يقل لك رسول الله (ص) تحارب علياً وأنت له ظالم فخجل طلحة وغادر المعركة ولحقه أعرابي ممن أتوا مع علي وأطلق عليه سهماً فأرداه قتيلاً.. وعاد إلى علي وأعلمه أنه قتل طلحة بن الزبير . فقال له : وهذا صحابي له الجنة . . . .لك النار.وقال الأعرابي إذا قاتلنا معك لنا النار لنا النار فإني راحل . . . وحزن عبد الرحمن بن عوف على طلحة وكذلك الزبير بن العوام. وطلب من محمد بن ابي بكر العودة إلى المدينة.

تقول الاشاعات إنه قتل الآلاف في معركة الجمل، والثابت أنه قتل بعض الأشخاص ممن كان لهم أطماع في الوقف.

وعاد علي وعبد الرحمن والزبير مع بعضهم وانتهت معركة الجمل.

لكن بقيت ذيولها . . . .إن ابا سفيان لم ينل ماكان يطلب من علي فذهب إلى ابنه في الشام وبعد أن بايع معاوية علياً نقض البيعة ،وهنا كان علي إما أن يذهب غلى الشام من المدينة أ، يذهب إلى العراق واجتمع مع الصحابة ،و كانت مشاركتهم له أن يبقى في المدينة ،وقسم منهم يقول لو ذهب إلى العراق فإنه أقرب إلى الشام من المدينة ،ولكن من العراق المسافة أقصر ، وأقنعوه بالذهاب إلى العراق رغم اعتراض بعض الصحابة مثل أبو أيوب الأنصاري وغيره . . . لكن أغلب الصحابة رأوا أن يذهب إلى العراق . . . وفعلاً كان رأيه ذلك فذهب.

وفي العراق شكل جيشاً من تلك القبائل الحديثة في الاسلام ،لكن معاوية والي الشام أكثر من عشرين سنة كان قد تجذر في بلاد الشام ،وأصبحوا يطلعونه وهذا مشورة أبي سفيان له أن تكرم أهل الشام فهم جندك في الأزمات وأن تكرم أهلك منهم أقرباؤك وعشيرتك ،و استطاع أ، يجند جيشاً قوياً وأن يسند قيادته إلى عمر بن العاص الذي وقف معه وكان والياً على الاسكندرية ،كما أن النساء في المدينة كانت لهم تحريض سواء مع علي أم مع عائشة ،و كما قلت كان الخلاف مستقراً بين هؤلاء النسوة بين عائشة بنت ابي بكر الصديق وبين اسماء بنت عميش زوجة أبي بكر الصديق ثم تزوجها علي وكانت أسماء في الأربعين من عمرها وهي شابة . . . وقد قتل ابنها عون في خراسان واستشهد بعض أولادها في السند . . . وكانت حزينة دوماً وهي ذكية وشجاعة لها دور كبير مثل أن سلمة في حروب الرقة فقد بترت يدها وجرحت عدة جراح ،وعادت إلى المدينة بعد انتهاء حروب الردة وعاشت في المدينة وكانت حزينة على ما يدور بين المسلمين . . . وبدأت المعارك بين علي ومعاوية على نهر الفرات ،وكان مع علي عبد الله بن عمر وعمار بن ياسر واستشهد عمار بن ياسر ،وكان جيش علي إياس القرني وهو من ابطال المسلمين وكان شجاعاً ،وكان قد ولاه علي على القدس بعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح.

كانت هذه المعركة كبيرة وراح ضحيتها العشرات والمئات ،ولكن وعمرة بن العاص لجؤوا إلي التحكيم بعد أن رفعوا المصاحف. فوافق علي على التحكيم.

وانتخب اثنان من قبل علي ابي موسى الأشعري وهو صحابي وعمرة بن العاص من قبل معاوية . . .

لماذا أنتخب هؤلاء الاثنان ، لأن ابا موسى الأشعري وعمرو بن العاص كانا قد عينا أبو موسى والياً على خراسان وعين معه عمرو بن العاص نائباً له ايام عمر بن الخطاب . . .

لذلك كانت صلتهم وطيدة مع بعضهم . . . فاجتمع الاثنان . . . ولأ، أبو موسى أكبر سناً . . . فقال له : يا أبا موسى ونحن مسلمون قديماً وأنت أكبر وأقدم ،فابدأ بالكلام وبدأ وكان التحكيم لصالح معاوية بن ابي سفيان وطبعاً كان عمر قد خدع أبا موسى في التحكيم . . . لكن علياً حرصاً منه علىالدماء أوقفت الحرب ولم يقبل بالتحكيم فثار عليه قسم من أتباعه من بني تميم وخرجوا من طاعة وأرادوا قتاله،سموا بالخوارج وحرضهم المسلمون من الفرس على الخزرج عن طاعته وقتاله . . . وكان القتال بينهم وبن علي احتجاجاً على قبوله التحكيم. وكان هؤلاء الخوارج أإلبهم من قبيلة بني تميم الذين يقاتلون مع علي.

وعاد علي غلى الكوفة وعاد معاوية إلى الشام وبقي نهر الفرات حاجزاً بين الاثنين وكانت الخلافة خلافتين فعلي له الحجاز ومعر وفلسطين ومعاوية له الشام والشمال وله الاسكندرية على البحر.

لا أريد أن أدخل كيف كانت النساء تعالج الجرحى وكيف كان التموين لهذه الجيوش ، ولكن من خلال مجرى جيوش المسلمين أ، قبائلهم كانت النساء أو بعضهن يذهبن مع رجالهن لمعالجة الجرحى، وعندما توقفت الحرب بين علي ومعاوية على نهر الفرات واستشهد لعض الصحابة مثل عمار بن ياسر وغيره بعضهم وعاد إلى المدينة ، وكان بين الطرفين المتقاتلين جرحى وانشق بعض المسلمين عن الأمير وسموا بالخوارج وقاتلهم الموالون لعلي بن أبي طالب على رأسهم الصحابي أوس القرني الذي كان مشهود له أثناء حروب الردة في اليمن وهو من قبيلة مراد في اليمن وكان اليد اليمنى لعلي في اليمن ،وأنهى الردة دون قتال في اليمن إذ عادوا إلى الإسلام .

وقد تنبأ النبي (ص) سيأتيكم رجل من اليمن يسمى أوس القرني وهو مؤمن بالله وبرسوله وهو شجاع .

كان أوس في هذه المعركة قائداً مهماً عند علي وأصيب بجروح وعرف عمرو بن العاص أن أوساً جرح ،وكان كل ما يخشاه هو تكرار الحرب لأن أوساً كان حقيقة مع علي ولكن كان يتمن أن تستمر الحرب ،وكان الناس مختلطين في هذه الحرب ،فكلهم مسلمون إما عن قناعة أو خوفاً من السيف ،وخاصة من أسلم مرة ثانية من حروب الردة خشية من سيف خالد بن الوليد .

ويقاتلون الآن مع علي وقد انشق قسم عنه فسموا بالخوارج . . .وتفرغ قسم من مناصري علي لقتالهم .

كان عمرو بن العاص يراقب المعركة بدقة ، وهاهو يتخرج لأن التحكيم كان لصالحه . . .كان أمير المؤمنين يسميه أرطبوط العرب .

وهو يتصرف بسرعة في الأزمات فجيش عمرو بن العاص عودة الحرب مرة ثانية وأن يكون قائد جيش علي هو أوس القرني وكان فارساً شجاعاً ،وأنا أظن أنه ليس كما ورد من أن

الصحابة جياع ويضعون الحجارة على بطونهم لأنهم كانوا يملكون قطعاناً كبيرة من الإبل والتمر والأغنام فكيف يجوعون وأملاك فارس وأموالها تتدفق عليهم . . . وكذلك الروم .

عرف بن العاص من خلال بعض الخوارج الذين لجؤوا إليه أن أوس القرني بجروح فدعا امرأ' تعالج الجرحى هناك وكانت يستخدمون الأدوية من الأعشاب الممزوجة بالعسل فأرسل معها هذه الرجل فأرسل منه امرأة تداوي الجرحى ومعها إبريق من العسل وإبريق آخر مسموماً لتعالج به جراح أوس القرني .

وكان أوس يحب العسل كثيراً وعندما يأكل معه قليلاً من العسل لأن العسل دواء .

ذهبت هذه المرأة لتعالج جراحة هي وهذا الرجل ، رأت أوس القرني فعالجته وأخذ ملعقة من العسل الذي معها ووجد أن ضمدت جراحه بالعسل غادرت منطقة إلى منطقة أخرى ثم عادت إلى جيش معاوية ، وسمع بعد حين أو أيام أن أوس القرني قد مات وهو على فراشه مسموماً من هذا العسل ،وهز برأسه عمرو بن العاص وأخبر معاوية بن أبي سفيان أن القرني مات . . . وأعلمه بتفاصيل موته فقال كلمته المشهورة (لله در جيش من عسل) إن أوس القرني يحتاج جيشاً ليستطيع قتله فأتى عليه إبريق من عسل .

وهكذا قضي على أوس القرني في جيش علي بن أبي طالب . . . وهو يقاتل الخوارج شرق نهر الفرات .

رغم أن علياً حينما توقف القتال عين أوساً والياً على غزة ومحمد بن أبي بكر والياً على مصر الجيزة وان عمرو بن العاص كان والياً على الإسكندرية . وكان محمد والياً على الجيزة من أيام عثمان .

لا أدري كيف تقدر أعمار الولاة فهل يكون عمره عشرون سنة . . .قد يكون صحيحاً آنذاك لاسيما إن كان من أبناء الصحابة ،وكما عين النبي أسامة بن زيد قائداً وعمره صغير .

ولكن أظن أن هذه الأعمار مشكوك فيها في مؤتة تزوج أبو بكر من أسماء بنت عميش وأنجبت له محمد بن أبي بكر .

وقد ورد أنها أنجبت الولد في أواخر الهجرة وعندما رحل أبو بكر كان عمر محمد ست سنوات .

وفي خلافة عمر كيف زوجوا محمداً وهو ابن عشرة سنوات من فيروز بنت كسرى . . .لا يعقل ذلك

وفي نهاية خلافة عمر(ر) كان في العشرين فعينه عثمان والياً على مصر العليا وعين عمرو بن العاص على الإسكندرية .

هذا هو المنطق ،وعندما توقفت الحرب عين علي ومعاوية عين محمد بن أبي بكر على مصر العليا وغادر إلى مصر .

كان محمد بن أبي بكر شجاعاً وبطلاً ،وكان الذين يقاتلون يخافون منه .

كان يكره الخداع فقد رباه علي بن أبي طالب حين تزوج أمه ، وربى مع الحسن والحسن ومحمد بن الحنيفية معركة الجمل ،وعاد بأخته عائشة إلى المدينة .ولم يقتل كما قيل في معركة الجمل لا الآلاف ولا المئات .

فكيف يكون الصحابة طلحة والزبير وعبد الرحمن مجتمعون والمعركة دائرة .

وانتهت تلك الحرب . . . وعاد محمد بن أبي بكر إلى القاهرة ،ولم يكن عنده زوجة سوى فيروز وولدت له ولداً سماه (القاسم) وكان عمره سبع سنوات . . .وفي أثناء غيابه عن مصر في معكرة الجمل وحرب الفرات كان عمرو بن العاص قد أوصى نائبه ابن خديج علي الاسكندرية ،وأوصاه أن يستطلع جبيراً مصر العليا بالسر .فأرسل من الإسكندرية مجموعة استطلاع ودرس دار الولاية في مصر ومن فيها من أتباع محمد بن أبي بكر حتى درس الذي يطبخ له .

وكما قيل عندما سأل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وصف في مصر فكتب له:هذه هي مصر أرضها ذهب ونساؤها لعب ورجالها لمن غلب .

وكان إسلام المصريين حديثاً وقد كانوا معظمهم مسيحيين ويهود أيام ملكهم المقوقس وللآن اسلموا بغير حرب كما أمرهم ملكهم المقوقس ،فاعتبر وصف عمرو بن العاص لهم بهذا الشكل .

استطاع الخديج أثناء انشغال عمر بن العاص أن يشتري الطباعة المصرية ، ولا يذكر التاريخ اسمها . أهي مسيحية أم من اليهود أم هي مسلمة واستطاع بعض رجاله تزويدها وعندما اعد عمر إلى الإسكندرية وأطلعه ابن خديج على ما قام به في مصر العليا وأنه استطاع تجنيد دار الولاية الصالحة فأرسله مرة ثانية سراً إلى مصر العليا . وزوده بقارورة من السم ليعطيها لهذه الطباخة التي تعد الطعام إلى محمد بن أبي بكر وعائلته .

ولكن الولد القاسم بن محمد يدرس عند أحد المسلمين من أتباع أبيه يعلمه القرآن فكان غائباً أثناء الغذاء .

وقامت الطباخة فوضعت السم في الطعام وتناول الطعام مع زوجته فيروز بنت كسرى ، وبعد أن انتهى الطعام حملته ثم خرجت من الدار وأعلمت الرجل من أتباع خديج أنها قامت بفعلتها كاملة . . . وبعد ساعات فعل السم فعله فقتل محمد وزوجته في دار الولاية .

طوق ابن خديج الدار واستسلم أتباع محمد بن أبي بكر وأرسل رسولاً إلى الإسكندرية يخبر عمر بن العاص عن مقتل محمد بن أبي بكر وأمره بإحضار الجثمان إليه وهنا تتعقد الروايات أن عمر أحرق الجثة أمامه وقيل أنهم وضعوها بجلد حمار وأحرقوها . وقيل عن ابن خديج أنه قتل من قوسي في معركة الفرات ثمانين رجلاً .

وهذه روايات كثيرة . . .لكن ولده القاسم قد أخفاه الرجل مع مجموعة صغيرة بقيت مواليه لمحمد من أبي بكر . . .وعبر وادي النيل متجهين نحو البحر الأحمر .

وهناك حرب أتباعه ولم يذكر التاريخ كيف ولكن وصل القاسم بن محمد بن أبي بكر مع هؤلاء الرجال هربوه إلى المدينة المنورة وأخذه عمه عبد الله بن أبي بكر ورباه وكانت تعطف عليه عائشة عمته وكذلك جدته أسماء بنت علي . . . ولم يشاهدها إلا حين عادت إلى المدينة وكانت قد كبرت . . .والقاسم بن محمد بن أبي بكر حفظ القرآن وغدا عالماً في الفقه وداعياً ومعلماً للذين لا يفقهون القرآن وهم مسلمون . . .وأغلب المسلمون كانوا لا يعرفون إلا قليلاً من القرآن . . . وعندما يقرؤون كانوا يتلونه بلهجتهم البدوية التي تتغاير مع بعضها فهم غير لهجة قريش وبنو تميم غير لهجة اليمن . . . كانت لهجات كثيرة ،وعندما استتب الأمر لمعاوية في الشام وعلي في الكوفة . وتخلص معاوية من أوس ومحمد في مصر .

وهكذا مصر بكاملها لمعاوية ،وتخلص تماماً من الرومان ولم يبق أمامه سوى خلافة علي وكان هذا ما يقلقه كثيراً .

هو خليفة في الشام ويمكن في الكوفة والحجاز بين مد وجزر وصحابته الذين بايعوه مختلفون بين بعضهم البعض ،وكانوا جميعهم قد اجتازوا الستين من العمر وقسم اجتاز السبعين ،ولو قدرنا أعمارهم وفق ما قيل أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان مات عن 82 ستة وعندما أسلم هؤلاء كانت أعمارهم قد تجاوزت السبعين إلا علياً أحضرهم فقد تولى وعمره 56 سنة .

لا أدري كيف جري تصميم التاريخ ورواه الحديث عن عن عن عن وخاصة أغلب الرواة بعد العهد الأموي ومنتصف العهد العباسي بعد 3000أو 400 سنة أن تروي حديثاً وتسنده عن رسول الله (ص)، فهذه الأحاديث وخاصة الرواة أغلبهم لا يعرف العربية وكانوا يكتبون الأحاديث بالآرامية أو التركية وكانوا من آسيا الوسطى ويسندون هذا الحديث لأبي هريرة وهو ليس من الحجاز وهو لا يعرف العربية وهو من حوض الفرات الشمالي من مدينة اسمها أبو هريرة وسمي هو نسبة إلى هذه المدينة ،وكانت تتكلم الآرامية وليس العربية ،وعندما

ذهب على المدينة كان رسول الله يحتضر ولم يشاهده إلا عن بعد ، فهل كانت عائشة تتكلم الآرامية حتى روي عن هذه الأحاديث عنها وهذه المجلدات الكبيرة التي الفت والموسوعات الإسلامية الميسرة أو غير الميسرة والبيهقي وابنه ماجد وأبو هريرة أغلبهم لا يعرفون اللغة العربية حتى ابن سينا كان يكتب بالتركية وهو الذي يفتخر فيه المسلمون والعرب وهو غير عربي .

نقل هذه الأحاديث أن عمر بن العاص لم يكن غبياً بل كان أرطبوط العرب ولم يكن حقوداً لأنه كان من المسلمين قبل معركة مؤتة وبعد معركة خيبر وقاد معركة السلاسل وخالف أبو بكر هنا ومنعهم من اختراق النار بالليل وحين سأله النبي عن ذلك قال له يا رسول الله النار تكشفنا للعدو ولذلك أمرتهم فالتزموا فقال النبي هذا صحيح إن عمر صاحب فطنة ،والحرب خدعة .

لا أقول إني سأبرئ عمر بن العاص من قتل محمد ولكن لا أظن أنه أحرق جثته .

لماذا أعتقد ذلك . . .هل كان عند حمار مطبوخ جاهز عندما أتوا بجثته . . .قد يقول خذوه وادفنوه بعد أ، يتأكد من موته أو يقول ارموه في مكان بعيد ولم يعرف قبر محمد بن أبي بكر أين هو حتى اليوم .ولكنه قتل مسموماً في الجيزة عكس ما قيل إنه حين كان ذاهباً إلى مصر قطعوا له الطريق وقاتلوه .

قتل مسموماً في دار الولاية مع زوجته فيروز ونجا ابنه القاسم وكان من فقهاء المسلمين ،وكان فارساً ولكنه لم يغادر المدينة أو لم يكلف بالقتال في بلاد الشام .

حقيقة كان معاوية بن ابي سفيان يحب المديح ويحب الشعراء والمثقفين من العرب وغير العرب الذين يمدحونه ولكنه كان قلقاً جداً لأن العالم الاسلامي منقسم على نفسه في خلافتين ، خلافته في الشام وخلافة علي في الكوفة. والعالم الاسلامي الممتد من غرب مصر إلى جنوب اليمن إلى الخليج وفارس وخراسان والشمال من بلاد الترك ،كان يقلقه هذا الواقع الأليم ، هو يملك الشام وشمال بلادها والقدس ومصر بعد مقتل محمد أبي بكر والاستيلاء على مصر وتولى عمرة بن العاص قيادة مصر مع فلسطين.

كان هذا الواقع مقلقاً لمعاوية ،رغم وفرة موارده ،وينفق على أعوانه ، ويرسل هدايا كثيرة إلى الصحابة في المدينة لكي يناصروه على علي بن ابي طالب.

وكذلك علي عنده دخل من بيت المال ولكنه خسر مصر بعد مقتل محمد بن ابي بكر،

كان معاوية يفكر في هذا ،وكيف يجد له حلاً؟

وكان كثير من التجار من شمالي العراق وحلب والموصل يتاجرون مع الشام ومصر وأحياناً يزورونه في داره في دمشق بعضهم فيكرمهم ،والتاجر إيمانه في ربحه وخسارته ،فإسلامه مثل إيمانه بما يربح أو يخسر من الاسلام أو المسيحية أو اليهودية ،وكانت اللغة الآرامية والسريانية هي لغة التجارة لأن الدواوين في بيت المال تسجل بالآرامية . والعرب قبائل وعشائر وبطون...وقد اسلم أغلبهم والباقون بقوا مسيحين وفي فلسطين يهود لم يسلموا ودفعوا الجزية ومعهم في حوران الغساسنة وفي البلقاء... والناذرة في العراق.كانوا على المسيحية .وعملوا مع العرب انتقاماً من كسرى لأنه كان يهنيهم.

وهكذا كان التجار الوافدين لدمشق منهم من يطلب مقابلة معاوية فيستقبله ويكرمه وكان معاوية يتقن السريانية والآرامية.

أحد التجار العرب الذين هم من بني تميم ممن كانوا يرتادون الشام وحلب والموصل وكان هذا التاجر ميسوراً وقد اسلم ثم ارتد ، وعاد واسلم مرة أخرى خوفاً أثناء حروب الردة وكان قد تجاوز الستين من العمر ،وقد زار معاوية فسأله ما رايك في تجارتك .فقال له يا أمير المؤمنين:حين نصل إلى الشام ندعو لك أنك خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وحين تمر في العراق قرب الكوفة ندعو لعلي بن ابي طالب بالخلافة وهو أمير المؤمنين..فيجب أن يحصل حل ،رغم أني أصدقك القول..إن بني تميم أسلموا ثم ارتدوا

ثم اسلمهم خالد بحد السيف ثم عادوا وانقسموا واتبعوا علياً أمير المؤمنين كرم الله وجهه ولم يتبعوك ثم اعترضوا على التحكيم وخرجوا عن طاعة علي وقتل منهم الكثير.

وهم في داخلهم لا يؤمنون لا بك ولا بعلي وإذا استطاعوا أن يغتالولكما وذلك الداهية عمر بن العاص لما توقفوا....فيرتاح المسلمون منكم جميعاً ولا ندري من الخليفة بعد كم...وكان لنا علاقة مع كسرى قبل القادسية..زفهل يعود كسرى مرة ثانية.

قال له ومارايك الآن بالحل ، قال أنت الأمير و ،وكما أخبرتكم التجارة ربح وخسارة فأجابه وإذا أعطيتك مالاً هل تجد من بني تميم من الخوارج من يقتلوننا أنا وعلي وعمرو بن العاص في مصر ،كونك كما قلت نحن الثلاثة من أشرار الاسلام...وإني أخبرك هناك أناس من بني تميم يرغبون بالثأر من علي لأنه بعد التحكيم قد قتل منهم الكثير لأنهم خرجوا عن طاعته بعد أن أيدوه في وحرب الفرات.

كان معاوية يستمع مبتسماً فقال له لا أريد بعد أ، تعرفت عليك يجب أن تكتم هذا الأمر عني وأنا أتعاون معك في تنفيذ مشروعم ومشروع بني تميم من الخوارج بقتلنا نحن الثلاثة ما رأيك....فقال : والله أنا لست مقاتلاً أنا تاجر ،فقال له: إذا أ'طيتك مالاً لتنظيم هذا الأمر وتتابع تجارتك وتخبرني بتفصيلاته وأعطيك مثل ماتربح في كل صفقة وأن تجند من يقومون بهذا العمل ،وأنا أوفقك وأوافق الخوارج على الأخذ بالثأرهم من علي بن أبي طالب.

ولكن حتى يكتمل هذا المشروع يحيطني علماً بكل أوضاع هؤلاء والمجندين العائلية والمادية وأنفق عليهم وأكرمهم وارفع من همهم ،إذا قمت بذلك وفقدته قلك عندي حصة إضافية من بيت المال تغنيك عن تجارتك لعشرات السنين. وأنا الآن أدفع إليك قسماً من هذا المال لتستعين به في هذا المشروع الرهيب حتى تستقيم الخلافة ويكون خليفة واحد للمسلمين جميعهم.

رغب هذا التاجر بهذه الصفقة الرابحة ،وراح يبحث في العراق عن المشردين من بني تميم والذين قتل أقرباؤهم من قبل علي وسموا بالخوارج.

وحطت رحال هذا التاجر على ثلاثة من بني تميم وأخذ أسماءهم الثلاثة بعد أن وافقوا على مشروعه ودرس نفسية كل منهم وهم من بني تميم وتطوع الأول الذي يسكن قرب الكوفة ولم يؤمنوا إلا بعلي ولا بمعاوية ، وقد قتل علي أقاربه وهو عبد الرحمن بن ملحم ،و هذا أصله البعيد من قبيلة تميم القاطنين في اليمن.

وتطوع القاني لقتل معاوية وهو البرك بن عبد الله التميمي وكان يسكن في الكوفة.

وتطوع الثالث وهو عمرة بن بكر التميمي وهؤلاء الثلاثة جمعهم هذا التاجر ودرس أوضاعهم العائلية وكم قتل من أقربائهم في معركة النهر وقد من قبل أوس القرني فذكرهم باقرباؤهم القتلى وهو ايضاً من بني تميم وقال لهم نحن قبائل والثأر أهم شيء عندنا وإلا نكون قد فقدنا شرفنا وكرامتنا ووجودنا .

أما أنتم المتطوعون الثلاثة فيجب أن أؤمن لكم عيالكم وأبناؤكم وأنتم تنصرفون لتنفيذ هذه المهمة وأعطاهم مالاً وفيراً لتأمين العوائل ولشراء خيول للوصول إلى المدن ،أما الذي يذهب إلى الشام فقال له أنت تذهب حارساً من حراس قافلتي إلى دمشق ،والثاني يذهب معي أيضاً حارساً من حراس القافلة حماية من قطاع الطرق المغيرين على القافلة إذا لم تكن محروسة تماماً.

كان هذا التاجر ذكياً وكانت هذه له صفقة العمر.

وبحسب الاتفاق أنه يعطيه اسم من سيغتاله ويغتال عمر ويحدد له زمن تنفيذ المهمة في وقت واحد ،وكون المال هو عصيب السياسة ويقال إن السياسة هي هامش الاقتصاد وكان ذلك في حوالي منتصف رجب من السنة .

اجتمع الثلاثة مرة ثانية مع هذا التاجر وتداولوا بين بعضهم بعهد الترحم على أقرباؤهم الذين كانوا من خيار الناس والمسلمين ولكنهم رفضوا التحكم فقتلوا وهم مسلمون.

وكانوا يحملون سيفاً وخناجر فشحذوها أمام هذا التاجر وكان التاجر قد أعطاه معاوية قارورة من السم عندما يشحذون السيوف والخناجر يغمسونها في السم حتى يتقل السم من لا يقتله الخنجر.

وحين حمل التاجر قافلته ورحل للشام كان معه في المراسلة البرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن البرك التميمي ،وكانت القافلة متجهة من الشام إلى مصر إلى الجيزة ،فترك البرك بن عبد الله التميمي في الشام وأخذ معه عمرو بن برك إلى مصر في حراسه القافلة.

كان ذلك في أواخر شهر رجب وحددوا التنفيذ في 14 رمضان واقسموا على ذلك أمام هذا التاجر...أنهم سينفذون ولو قتلوا في سبيله.

حين وصل التاجر إلى الشام اجتمع سراً مع معاوية وأعطاه اسماء الأشخاص :البرك وعبد الرحمن...وعمرو وأخبره بموعد التنفيذ حين تدخل إلى الجامع وكذلك علي فشكره وأعطاه مالاً وكان معاوية قد استدعى عمرو بن العاص بعد ذلك بقليل وأعلمه بأنه سيغتالون في الجامع يوم 14 رمضان

هو عمرو بن بكر التميمي وقال له إذا ظفرت به فاحبسه عندك حتى تعرف ماذا يحل بعلي بن ابي طالب.

وهكذا عاد التاجر من مصر ماراً بالشام وكل منهم يترصد صاحبه ،وكانت عيون معاوية تترصد عبد الله التميمي وعيون عمرو بن العاص تترصد عمرو بن بكر التميمي في مصر .

وحين عرفوهم بدقة تركوهم ،وقبل 14 رمضان بعدة ايام اعتقلوهم وأخفوهم .اعتقل معاوية البرك بن عبد الله واعتقل عمرو بن بكر التميمي في مصر. وانتظر

أما عبد الرحمن بن ملحم في الكوفة وكان يصلي في جامع الكوفة فجراً وظهراً وعصراً مع الامام علي بن أبي طالب ودرس وضع الجامع بدقة . وحين اقترب موعد 14 رمضان ،وكان قد كتم أمره عن الجميع حتى زوجاته واستطاع أن يتعرف على شخص آخر من بني تميم اسمه وردان وشخص آحر اسمه حبيب من بني تميم وايداه في هذا المشروع أيضاً. واستطاعوا أن يدرسوا كيف يدخل علي إلى الجامع ومن أي باب.

وفي 14 رمضان بعد السحور كمنوا له عند باب الجامع وكان علي فجراً وداره قرب الجامع ينادي الصلاة الصلاة ويكبر. وحين فتح الباب فاجأه وردان بضربة خنجر في خاصرته فالتفت إليك وقال ويحك قتلتني ففاجأة عبد الرحمن بن ملحم بالسيف على رأسه فصاخ امسكوهما وكان الناس اقتربوا أما حبيب فقد هرب أما وردان فقد قتل واعتقل عبد الرحمن وهكذا استطاع معاوية أن يتخلص من علي بن ابي طالب في الكوفة بطريقة سرية .وهاهو العقل والمنطق يقول وليس كما يروي الرواة قيل عن قال... ولكن قتل ايضاً رجل أمير المؤمنين عليه السلام إلىالأعلى وأوصى ابنه الحسين بتقل عبد الرحمن بن ملحم في سيفه وتولى الحسن إماماً وخليفة لعلي في الكوفة من بعده.

أما ما حل بالبرك بن عبد الله التميمي وعمرة بن بكر فقد اختفيا ولم يعرف أحد مصيرهم وأما التاجر فقد قبض وكتم الأمر ولم يعرف عنه شيء إلا أنه تاجر نشيط وتجارته رابحة ، وقد ارتاح معاوية لمقتل علي بن أبي طالب ولكنه قال رحم الله أمير المؤمنين علياً ،كان أفضل مني وهو قريب رسول الله وزوج ابنته ولكن السياسة والسلطة هي السلطة ولو نازعني قلبي عليها لانتزعته من صدري ورميته ، وهكذا كانت شعرة معاوية يدرسونها في العالم حتى القرن الواحد والعشرين .

وكل ماورد من قبل وقال في المؤلفات الكثيرة من موسوعات وابن كثير وجميع المؤلفات الاسلامية كلها تقول قيل عن قال ولكن العقل يجب أن يدرك بواطن الأمور وما يستخدمه العقل والمنطق هو الصحيح وما ياقل قيل عن قال ففيه خلل.

رغم أني أحترم كل الذين اجتهدوا ولكن سلسة قيل عن قال هم من الترك ولا يعرفون العربية. وحتى العرب لهم لهجاتهم البدوية بين بعضهم.

بعد مقتل علي بن أبي طالب أرسل معاوية رسولاً إلى أولاده وأقربائه في المدينة يعزيهم بمقتل علي ويترجم عليه ويرجو أن يعاقب المجرمون الذين ارتكبوا هذه الجريمة ومن خلفهم .

كما أرسل على الصحابة وكان قد توفى أغلبهم ومنهم الزبير وقتل طلحة في الجمل ومات أبو عبيدة

وبفي سعد بن أبي وقاص ويزيد بن أبي عبيدة وبعد مقتل محمد بن أبي بكر استدعى معاوية عمرو بن العاص ليتداولوا في هذه الأمور التي اضطرب فيها العالم الإسلامي بأكمله لا سيما بعد أن تولى الحسن بن علي خليفة بعد أمية في الكوفة .

ماذا يتدبرون في هذا الأمر ، وعمرو بن العاص لا يعرف كيف قتل علي لأن معاوية لم يطلعه ولكن أخبره فقط عمن يريد قتله .

وحينما وصل عمرو بن العاص على دمشق كانوا يركبون الإبل وقد كبروا في العمر وكان عمر أكبر من معاوية بسنتين ، ولكن معاوية حالفه الحظ بأنه اسلم قبل عمر بعشر سنوات وغدا كاتباً بالآرامية والسريانية . . . وكانت الكتابة العربية هي الحظ الكوفي غير المنقط ،وكان يعمل في إدارة بيت المال ، وكان المدير هو عثمان بن عفان وأبو ذر الغفاري ، لذلك فقد اكتسب كثيراً من الإدارة المالية ،وعاشر جمع الصحابة وكان إسلامه قبل معركة بدر ولحقه أخوه يزيد .

كان أبو سفيان داهية وهو من زعماء قريش واسمه صخر وكان تاجراً كبيراً وهو الذي دفع أبناءه إلى الإسلام ،وهكذا كان شأن التجار في التاريخ فدعا عمر بن العاص ليشاوره في قضية آل هاشم بعد مقتل علي أمير المؤمنين ، ليسأله كيف قتل محمد بن أبي بكر . . . فهل أحرقته ، فأجابه عمر بن العاص : والله أنا لم اقتله لا هو لا زوجته وكنت في طريق من الإسكندرية إلى الجيزة ، ولكن نائبي معاوية بن خديج هو الذي دس له السم وقتله هو وزوجته ، وحينما وصلت بعد يوم طويل من سيري بل أكثر . . .كان جسده قد تفسح ولا ندري ماذا نعمل بهذه الجثمانين المتفسخة وأشار علي يا بني أن الجثث المتفسخة علينا أن نحرقها خشية الطاعون ، فخرجت من الدار هرباً من الرائحة وأحرقت دار الولاية بكاملها ثم دفنا الرماد . . . وكل ما أشيع غير ذلك فهو باطل . . . أنا لم أحرق أحداً .

ولا ندري ماذا يعمل بنا الله حين يخالفه ،لكن أنا لا أرف من الذي قتل علياً فأجابه قتله الخوارج ثاراً لأهلهم ونحن لا علاقة لنا . . . وأنا أرسلت رسلاً إلى الكوفة للتعزية به وإلى المدينة وأقربائه للتعزية والترحم عليه وقلت لهم كان أفضل مني وأفقه مني وأحق مني بالخلافة ،فيغفر الله لنا جميعاً ونتمنى رحمته .

ولكن الآن يا عمرو ماذا نقترح أن نعمل بالحسن ،فأجابه عمرو : والله أنا أكثر منك ولكنك أعلم مني .

حين قتل محمد بن أبي بكر في مصر استولينا عليها ووددت أن اقبض على الذين ذهبوا معه إلى المدينة لمعالجة مشكلة الوقف مع عثمان ،وبعد مقتل عثمان ذهب محمد إلى المدينة ومعه أصدقاؤه الثلاث محمد بن أبي حذيقة والمطيع الثاني والثالث . . .

هؤلاء الثلاثة هم الذين أقنعوا محمد بأن يلني طلب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وبعد مقتل عثمان لم يجر تحقيق دقيق لأن المطيع قتل الرجل الذي قتل عثمان ، وبعد مقتله اختفت الجريمة ، والآن قبل أن نبحث مشكلة الحسن بن علي وهو سبط الرسول وهو علي بن أبي طالب . . . قبل ذلك علينا أن نلاحق هؤلاء الثلاثة وأن نقتلهم قبل أن يصلوا على لأنهم إذا وصلوا واجتمعوا مع الحسن فقد لا نستطيع إتباع الحسن بما نرغب لأن هؤلاء كانوا هم العقل المدير للولاية في مصر ، وكان محمد بن أبي بكر لا يخالف الرأي محمد بن أبي حذيقة ، لذلك علينا أن نمسك بالثلاثة قبل وصولهم إلى الكوفة ، أظهر أنه حينما محمد من السم الذي أعطته المرأة المصرية الطباخة التي اشتريناها لنضع السم ومات هو وزوجته وفيروز بنت كسرى .

وهذه المرأة هي التي وضعت السم لمقتله ، ورب العالمين يحاسبها ؛ ونحن نطلب له الرحمة ونتمنى من أعواننا في المدينة أن يقنعوا أخته بأن الطباخة هي التي قتلته وعندما ذهبنا على مصر كان قد هرب مع معاونه ومستشاره في إدارة مصر .

لكن لا تثور علينا عائشة أم المؤمنين ، ورد معاوية : إذا علينا أن نبحث عن هؤلاء الثلاثة الهاربين من مصير وأخذوا معهم القاسم أو على مكة وبما أن محمد بن أبي حذيقة أرسله من اليمن فإننا لا ندري إذا كان ذهب لتحريض قبيلته أن تلحق بالكوفة وكذلك أقوال محمد بن الحنيفة ، لذلك علينا الاستعجال والحسم بقتل هؤلاء الثلاثة .

كان عمر يستمع وقال له : كما ترغب أيها الأمير . . . نحن ننفذ أوامرك .

ولكن نحن أيضاً كبرنا ، واجتزنا السبعين أنا وأنت ولم نستطع ركوب الخيل طويلاً والقال كما كنا خمسين سنة . وهكذا كان حول تبادل الرأي بين معاوية وعمر ، وكان معاوية يستمع أكثر مما يتكلم ، وأجابه إذن تعود إلى مصر ونتابع مع التنفيذ وإذا لحقنا بهؤلاء الثلاثة نكون قد تجنبنا الكثير من الحرب لأنهم رجال قتال فإذا وصلوا إلى السجن قد يكون هناك قتال شديد بيننا ، ولكن أنت أيضاً كبرت فمن هو الخليفة بعد فقال : اسمع يا عمرو إذا أنا متت قبلك فأتمنى أن تكون أنت الخليفة ، وإذا متت أنت قبلي فما رأيك من يكون . . . ؟ .

فقال له عمرو والله يا أمير المؤمنين إذا متت قبلك سيكون ابنك يزيد خليفة المسلمين وإذا مت قبلي كما تقول سأكون أنا وسيكون ابني عبد الله خليفة المسلمين وأظن أن ابني مقاتل ومربى تربية مسلمو صادقة وعلمته أن الحرب خدعة . . .لكن أنت لن ترب يزيد وخاصة بعد أن فقد أمه ميسون بنت جعدر وتوفين ابنك الآن يزيد على الأربعين .

فقال معاوية: وما أدراك أنني لم أربه تربية صحيحة ،وهاهو يزيد بن في كل شيء فأجابه حتى نتخلص ن هؤلاء الثلاثة نفكر في المستقبل أكثر ،وقال له أتمنى أن ألقى ربي مثلك والأعمار بيد الله .

وعاد عمر إلى مصر والياً على مصر والقدس واتفق الاثنان على ملاحقة هؤلاء الثلاثة وقتلهم .

لنعد إلى البحث . . . .كان محمد والمطيع عمرو بن كنان الخزاعي والرجل الثالث حين وصل على المدينة مع القاسم بن أبي بكر وصلا على بيت عبد الله بن أبي بكر وحدثوه عن مقتل أخيه محمد وها هو ابني عندك .

وغادروا واجتمع الثلاثة إلى أين يغادرون أ على اليمن يذهب محمد ويأتي بقبيلته إلى الكوفة أم يتجهون شمالاً ليعرفوا أخبار معاوية بن أبي سفيان . . .وتحركهم سر في ثلاثة اتجاهات حمد إلى دمشق الشام والمطيع إلى بعلبك وعمر بن كنان إلى العراق ي ويكونون متخفين ولا يعرفهم أحد ، ولكن كانت عيون معاوية وعيون عمر في مصر وعيون أقرباء معاوية في المدينة وكان والده أبو سفيان قد فقد عينه وكبر كثيراً وماتت أمه هند بنت عتبة .

وفي هذه الفترة مات أبوه أبو سفيان وكان قد مات أخوه يزيد في طاعون عواس .

كان معاوية يفكر أين يجده ورغم كل ما تعرض له من مخاطر ومآسي كان هادئاً وحذراً ومعاونه في دمشق زياد بن أبيه ، وزياد هذا كان عمره أربعين عاماً ويقال أن أمه كانت ثيباً كما يقال إنها كانت بغياً .

وكان معاوية يزور خيمتها فولدت هذا الولد وتبناه معاوية وسماه زياد ابن أبيه لأنه لم يرد أن ينسبه إليه ،ولكن هو يعرف وكتم هذا الأمر ورباه . . .

كان زياد مثل عمرو بن العاص .الحرب خدعة والمال الوفير يغير عقول الناس ويغير التجار والتجار لهم أطماع ،وكان مقاتلاً أيضاً ، كان مفكراً بارعاً وتعلم من معاوية المكر والدهاء وشراء الناس بالمال وخاصة أنه تربى في دار معاوية ولم يعرف أمه أبداً .

لنعد إلى محمد بن أبي حذيفة ،كانت عيون معاوية قد رصدته رصداً دقيقاً وهو يتجه نحو الشام وقبل وصوله إلى دمشق في منطقة جنوب دمشق قبض عليه وقتل 0 (الآن له مقام قبل غباغب على تلة محمد بن أبي حذيفة)

البدو يزورون هذا المقام وكذلك الشيعة وكل الطوائف ويسمونه النبي حذيفة وأنا زرت مقامه ، وكان قبره بسيطاً في حوران غربي قالعين

وهكذا قضي على هذا الصحابي الجليل في هذه المنطقة بعد ترصده عدة أشهر .

أما المطيع فقد ترصدوه أكثر ،وحين وصل إلى لبنان كانت عيون معاوية كثيرة وشراؤه للناس أكثر فكشف المطيع في بعلبك وقتلوه هناك . . .ولا أدري إن كان له مقام .

أما عمرو بن كنان الخزاعي الذي ذهب نحو الموصل فقد وصل إلى منطقة سنجار راكباً على جواده ومعه سيفه وأصابه التعب فرأى جدول ماء فنزل هنا ك وسقى فرسه وشاهد شجراً فربط الجواد في شجرة وارتاح على هذه الشجرة ثم غفي ، ويبدو أن أفعى كانت قريبة منه فاقتربت أكثر ولسعت يده ولم يفق من شدة التعب ،ومات في مكانه .

وجاء أناس ليجدوا فرساً مربوطة فوجدوه ميتاً ولم يجدوا الأفعى . . . لكنهم حفروا له قبراً ودفنوه في سنجار وأخذوا جواده ولم يعرفوا اسمه وأخبروا قبيلتهم عن ذلك ليبحثوا عنه وعن أهله . . .من هو الرجل الذي مات مسموماً ،وبحثوا حول المنطقة فوجدوا أفاعي كثيرة فتيقنوا أنه مات بسم الأفعى .

وهكذا قضى معاوية على هؤلاء الثلاثة الذين ذهبوا للنصر واتهموا بقتل عثمان وقيل إن قتلة عثمان هم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة والمطيع وهذا الرجل .

وهكذا طويت الجريمة بمقتل هؤلاء جميعاً .

لقد كتب المؤرخون كثيراً ولكن كل ما كتب كان بعد مئات السنين (ابن كثير في 600 هجرية والخراساني بعد 300 سنة ، كل من كتب عن مقتل علي ومحمد بن أبي بكر ومقتل عثمان ومقتل طلحة بن الزبير كان يكتب في التاريخ الإسلامي نقلاً قيل عن قال وأحياناً قيل عن أبي العباس .

كما روت أم المؤمنين عائشة عن قتل أخيها وأقنعوها بأن أخاها هو قاتل عثمان وهي عمياء كبيرة .

وهكذا طويت كل هذه الجرائم ولا يعرف أحد الحقيقة الصادقة ،وكما قال علي بن أبي طالب : كم عذبتني أيها الحقيقة .

أشك كيف عرق عمرو الخزاعي وهو ميت وكانوا آنذاك يشبهون تشبيهاً .

أشك أن هذا الرواية غير صحيحة لأنه لم يكن هناك بطاقة شخصية ، ولم تكن كتابة بالعربية . .ز كانت الآرامية والسريانية هي المسيطرة .

كان الوقت ربيعاً والسهول خضراء ، ويوجد رعي للخيول والإبل والحيوانات كافة من البغال والحمير ونقل القوافل ، وكانت مياه الفرات متدفقة في أعلى مستوى ، وأحياناً يصبح المستوى عشرة كم عرضاً في بادية الشام ، وكانت البادية ملأى بالمياه وقطعان الغزال والقوافل التي تسير غرباً أو شرقاً تعبر جسر الرقة ، وأحياناً تكون مخاضة عند البوكمال في الخريف حينما ينحفض مستوى النهر أما في الربيع فهناك جسر ، وقوافل التجار تأتي من بلاد الشام إلى فارس وخرسان وإلى الاسكندرية ، ولكن بعد مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعدة أيام بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وكذلك بايعه أهل البصرة ؛ وكان هناك أنباء عن حرب بينه وبين معاوية الخليفة في الشام ، ولكن الحسن بن علي بكر والحرب بين المسلمين ، وهنا كان عنده قائد جيشه في الكوفة قيس بن سعد . . .كان واليه على خراسان فاستدعاه لهذه المهمة ومعاوية أيضاً استعد ؛ وكان جيش معاوية ومعه المغيرة شعبة وعبد الله بن سعد بن أبي وقاص ، ولم تكن الأحوال جيدة فالحسن كان متردداً وبعكس كل ماقالته الروايات أن يقنعوه بالحرب فيتذكر جده رسول الله ، وكان عمره عند وفاة جده سبع سنوات ؛ وفي هذه الحرب التي سيقودها كان عمره 35 سنة ، وكان عمر معاوية آنذاك ستاً وستين سنة ؛ وكان لديه خبرة ودهاء ومكر في الحرب كبيرة جداً غير ما عند الحسن بن علي .

والحسن كان متردداً فحينما اقترب توقفا ، وعكس كل ماقاله الرواة فقد بعث معاوية إلى الحسن رسالة مع الصحابي عبد الله بن عامر ومع سيد بن زيد ويرافقه عبد الله بن عامر والصحابي عبد الرحمن . . ويقال في الرسالة ولم ينشرها بعض المؤرخين : يا سبط رسول الله . . . أنت أحق مني بالخلافة ولكن السياسة هي السياسة ، أخشى أن تعود كسرى وفارس عن الإسلام ولذلك فإنني أعرض عليك ما يلي :

1 ـ أن تكون خليفة من بعد موتي .

2 ـ أن توقف الحرب وحقن دماء المسلمين وهؤلاء وقودي إليك وما ترغب مني أنا أوافقك بغير حرب ، وأن نوفر دماء المسلمين . . .

ووصلت هذه الوفود إلى الحسن ، وهكذا كان رأي المغيرة بن شعبة . . . فكان جواب الحسن أن توقف الشتائم عن أبي وأن يكون لي حصة من بيت المال والوقف ؛ وأن آخذ معي بيت المال الذي جنيته أنا لأنفقه على الفقراء والمساكين .

أما معاوية فقال أنا أوفقك شرط أن تغادر الكوفة إلى المدينة . . . وحينما يأتي السبي يكون لك حصة منه كحصتي أنا ويكون لك من بيت المال كما أقبض أنا 1000 درهم كل شهر شرط أن تسكن في المدينة ؛ مدينة رسول الله ويصلك كل ماطلبته وما تطلبه مني إضافة إلى ذلك . . . وأنا أعتبرك أنك في جنات الخلد إذا وافقتني على ذلك .

وافق الحسن بن علي على الشروط واحتمعا في هذا السهل وبايع الحسن معاوية خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين وقد رفض قائده قيس بن سعد إيقاف القتال لكنه أخيراً انصاع وبايع معاوية .

ودخل معاوية والحسن إلى الكوفة سوية وهاجر الحسن بن علي الكوفة إلى المدينة مع عائلته وتولى علي الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه والياً على الكوفة والبصرة ومكلفاً بولاية خراسان ،كما عين عبد الله بن سعد بن أبي وقاص والياً على منطقة هناك ، وبذلك توقفت الحرب بين المسلمين ، ورغم أن أصدقاء الحسن قالوا له يجب أن تقاتل والحق معك ، فقال لهم : أفضل السلام على قتل المسلمين . . . وحين عاد الحسن إلى المدينة أقطعه معاوية قطعة كبيرة من الوقف حتى تكفي عياله وأولاده وزوجاته ، واحتج شقيقه الحسين على ايقاف هذه الحرب ، ورد عليه إذا اشتعلت النار بين المسلمين ودرات الحرب لا ندري كيف نطفئها فأطفئها بداية أفضل من إطفائها في النهاية ، فسكتوا جميعاً ، وكانت زوجة علي أسماء حية ، فشعرت بأن ابنها محمد بن أبي بكر قد قتل في مصر ، وقتل زوجها علي بن أبي طالب في الكوفة وهي الآن في المدينة في بيت علي تربى ابنها يحي وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وتواسي عائشة أحياناً . . .

وكانت عائشة لا تحب أسماء بنت عميس لأنها تزوجت بعد وفاة أبيها . . . وعائشة لها شقيقة اسمها أسماء بنت أبي بكر وهي (ذات النطاقين) وهي أم عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وزوجته بنت الحسين (سكينة) وأنا أظن قريش المختلطة تتصارع بين أفرادها على السلطة .

ويروى قيل عن قال رواية أن رسول الله قاد على الخلافة 30 سنة ثم يأتي الملك ، وإذا حسبت أن معاوية تولى خليفة للمسلمين وعندما بايعه الحسن بن علي عام 40 هـ ، هذا الصراع الذي دار بين المسلمين توقف حالياً فترة من الزمن وبعد أن استتب الأمر لمعاوية قام برحلته إلى الحج ولم تستقبله عائشة فأراد زيارتها في بيتها لكنها رفضت ، وبعد أن توسط لها مع العبد الذي على بابها قبلت استقباله وكانت قد فقدت بصرها ، فقال السلام عليك يا أم المؤمنين ؛ وردت عليه ويحك : يا معاوية أين

حلمك عندما قتلت حجر بن عدي هو وأولاده ، فقال : والله يا أماه إنك في عقلي وفي دماغي ، وفي تلك اللحظة ربما خرجت أنت فذهب مني الحكم .

إن قتل رجل صحابي أفضل من قتل مائة ألف مسلم فهذا حجر بن عدي قتله لسانه ، فقد شتمني وشتم الحرب فقتله الحراس هو وأولاده ، ثم خبروني وقالت له : ويحك ألم تعرف مكانته عند النبي فاعتذر لها .

فقالت وأخي كيف قتلته وأتيت تزوريني وماذا قلت للذي قتله عمرو بن العاص ومعاوية بن خديج . . . فقال لها : لقد حققت بالأمر وأقسم لي عمر أنه لا علم له بقتله ، وحقق بالأمر فقيل له إن الطباخة وضعت له السم في الغذاء ، ومات كل من أكل بعده من الحراس . . . وهل تقنعني أن هذه الطباخة لم يدفعها أحد ، فقال : يقول لي عمر ويقسم أنه لا علم له بما حصل . . . وعندما سافر وكانت الأجساد لا زالت في دار الولاية متفسخة وفقال لهم عمرو بن العاص لا نستطيع الدخول ، لأن هذه الأجساد المتفسخة قد تصيبنا بالطاعون ، لذلك قمت بإحراق دار الولاية بأكملها .

هذا ماحصل ولاحقت أعوانه الذين أخذوا ابنه القاسم معهم ، وهذا ماحصل ، فاغفر لي ذنبي وبسبب طيش ؛ ولأنك كثر الجياع في ولايتك فغير الولاة ، وأحضر لها معه مائة ألف درهم وأعطاها خمسين ألف درهم تنفقها على الفقراء والمساكين وأعطي الحاجب 5000 درهم حتى يبقى بيتها عامراً وضيوفها كثر .

فاستطاع إرضاءها . . . وكما قال معاوية :

(أرسل حكيماً ولا توصه فذاك الحكيم هو الدرهم) ، وهكذا رضيت عائشة وقالت له عيِّر عيِّر إلا إذا غيرت معاوية بن خديج وهذا ماحصل ، وحل محله نائباً لعمرو بن العاص .

وفي هذه الفترة استقرت الخلافة وتمت السيطرة على العالم الإسلامي . . .

كان معاوية جميلاً طويل القامة أشقر اللون ، وجه جميل ، وكان فارساً ، وكان أحد الكتبة عند عثمان ومع أبي الذر، فتعلم الكثير وعاشر الرسول وأسلم سراً قبل الهجرة ، وأسلم أخوه يزيد ، وعندما علم بذلك أبو سفيان طردهما من مكة فهاجرا للمدينة والتحقا ببيت المال عند عثمان بن عفان .

وكان معاوية نشيطاً في حياته وغدا والياً على الشام وبقي كذلك طوال خلافة عثمان وعاصياً عليها في خلافة علي . . . وعندما بايعه الحسن بن علي استتب له الأمر خليفة وأميراً .

وهنا فتح شمال أفريقية واستولى على القيروان وفتح قبرص ، وكسب من السبي الكثير والمال الوفير ، وماذا يعمل بكل هذا إذا لم يستطيع أن يورث ابنه يزيد وهو محكم بوصيته وشهادة الصحابي يزيد بن عبيد . . . وابن المغيرة وابن أبي سمرة وعبد الله بن سعد بن أبي وقاص أن الخليفة بعده الحسن بن علي واستدعى عمر بن العاص من مصر ، وأخذا يتناقشان في أمور الخلافة ، وهل يكون وفياً لقسمه وأجابه معاوية ليس لي صلة إذا مت قبل الحسن فيكون هو الخليفة كما أقسمت لأنه هو وفى بكل التزاماته أمامي ، وعندما كنت بالمدينة زارني هو وشقيه الحسين وأخذهم محمد بن الخنيفة ، فكيف لا أوفي بعهدي معهم إذا مت قبلهم .

لكن إذا مات الحسن قبلي فأنا في حل من قسمي .

فرد عليه عمرو بن العاص ، إذا مات الحسين قبلك نحن نتولى بعدك الخلافة ، فقال : أنت أكبر مني سناً فإذا مت أنا قبلك فأنت الخليفة ويكون ابنك ولي عهدك وإذا مت قبلي فيكون بعدي ابني يزيد خليفة المسلمين .

فأجابه إن يزيداً لا يصلح لأنه ليس فارساً شديداً ، فقال : إن الحياة تربي القادة وتعلمهم الكثير حينما يقعون تحت المسؤولية وشاء القدر أن يموت عمرو بن العاص قبل معاوية بثلاث سنوات .

وراح معاوية يفكر كيف يتخلص من الحسن بن علي وهاهي تتدفق إليه الأموال في الشام والسبي من العبيد والجواري من قبرص والقيروان وشمال أفريقيا وآسيا الوسطى .

فانتقى عدة سبايا من قبرص ، وكانت إحداهن جميلة .

كان معاوية بن أبي سفيان قد فقد عمرو بن العاص قبل عدو سنوات ، وهو كان يده اليمنى ومستشاره في الأزمات ، وقد كان معاوية بن أبي سفيان قد فقد عمرو بن العاص قبل عدو سنوات ، وهو كان يده اليمنى ومستشاره في الأزمات ، وقد تقدمت به السن قليلاً و سقط شعره من الأمام رغم ضحكاته جسمه كان طويلاً ووسيماً ، وكان يكحل عينيه وهذا ليس عيباً آنذاك ، فأنا كاتب هذه الرواية شاهدت في مقتبل عمري الرجال في قريتنا شمال شرق حماه يكحلون عيونهم ويرتبون حواجبهم ويتركون قليلاً من لحاهم ،جميعهم من مختلف الطوائف ويربون الجدائل ؛ وأذكر أن عمي وخالي كانا لهما جدائل ينشرونها على صدورهم وعلى أكتافهم لأن أبي كان قد فقد شعر رأسه ، وكان أصلع الراس . . . رغم أنه كان وسيماً جداً وله شاربان جميلان ولحية قصيرة جميلة .

إذن قصة العصر الحديث أن يعيبوا على معاوية تكحيل العينين وتجديل الشعر وتنظيم الحواجب غير مقبولة .

كانت هذه سمة الرجال أكثر من النساء ولكن معاوية في هذا العمر كان يفكر أكثر من النساء . . . ولكن معاوية في هذا العمر كان يفكر كثيراً هل ينفذ وصيته للحسن بن علي . . . إذا ما قبل الحسين ؛ وهذه أمانة في عنقه . (. . .) .

وحينما زار الميجنة في آخر حجة له واسقبلته عائشة رضي الله عنها ؛ فاستقبل في دار الولاية الحسن والحسين ومحمد بن الخنيفة أخيهم وأكرمهم في داره ورغم كل الضغوطات عليهم من أقربائه ألا يوفوا بالعهد أصر الحسن أن يوفي بعهده لهم .

ولكن هذا هو معاوية الذي دانت له الحجاز واليمن ومصر والشام والعراق وفارس والخليج وكل القبائل . . . .ومن يخالف لا يعرف كيف يكون جزاؤه . . . وكما قلت كان الطقس ربيعياً ، وكان حينما يخطب في الجامع قد كبر جسمه ولم يستطع الوقوف على المنبر ، فكان يستأذن المصلين ويخطب قاعداً على كرسي ،و كان خطيباً وشجاعاً وحكيماً يعرف كيف يدبر الأمور ويسوس هذه القبائل المتقاتلة المتناحرة .

وكان الجميع في المدينة يودون الحسن بن علي ليس لسبب أنه سبط الرسول بل لأنهم يعلمون أنه سيكون الخليفة بعد معاوية وما أكثر زعماء القبائل في هذا النفاق وخاصة العراق وخراسان وما بين النهرين والسند والشمال من الكرد والأكراد . . . وهاهو قد فتح قبرص وعبر البحر وفتح القيروان ووضع

حداً للرومان ، وتدفقت عليه هذه الأموال من كل هذه الأصقاع ، وكيف يفكر أن يترك الخلافة للحسن بن علي ليس لابنه يزيد . . . وهاهو قد سمع حديث النبي (ص) الخلافة ثلاثون سنة ، في مقتل علي بن أبي طالب ، وجاء عهد الملك يتوارثه الأبناء عن الآباء .

ولكن هو في رقبته عهد للحسن بن علي فكيف يتخلص من هذا العهد .

وقال لقد افتقدت عمر بن العاص بعض من بني شعبة . . . وكان عنده في الشام بعض من أقربائه وأقرباء بني العباس وخاصة محمد بن العباس وابنه عبد الله الذي أعطاهم وخاصة محمد بن العباس وابنه عبد الله الذي يفكر أعطاهم قوية جميلة في البلقاء . . . وراح يفكر وهو جالس في دار الخلافة في الشام . . . ماذا يفعل بالحسن ، ويقال إن ابنه يزيد حينما حج شاهد جهدة بنت الحسين ووعدها بالزواج إذا وضعت السم للحسن ، ولكنها رواية ضعيفة فهل كانت الجهدة بنت الخارث الزعيم الكبير . . . وقد توفي الحارث قبل عدة سنوات من وفاة الحسن .

كانت الجعدة امرأة جميلة . وكانت تحب الحسن الذي كان جميلاً ، وهو لما يصل إلى الخمسين من العمر ، فلا يزال شاباً وسيماً وكل أهل المدينة يحبونه ويحترمونه لأنه كريم ، وتأتيه الأموال من معاوية دراهماً وجواري ما يكفيه له ولكل آل هاشم وأحياناً يرسل لعائشة أموالاً لأنها أم المؤمنين وزوجته حيرة (ص) ، وكان أغلب أبناء الصحابة يحترمونه ويقدرونه لموافقة النبيلة وكرمه وأخلاقه ، وكان يحج في كل سنة ويصوم كيف يتخلص معاوية من هذا الرجل الوسيم الكريم سبط رسول الله .

جلس معاوية على كرسيه يفكر ولم يقابل أحداً . . .

الوقت في آذار ومياه بردى تتدفق نحو الغوطة وبحيرة العتيبة ، وابنه يزيد مولع بالصيد وركوب الخيل . . . وكان وسيماً كأبيه وأمه ميسون من القبائل العربية ، وكانت طليقة معاوية بخلاف ماقالته في ضعر إنها أحب إليها من العلوج والقصور .

لبيت تخفق الأرواح فيه

أحب إلي من قصر منيف

فقرأها معاوية وطلقها وردها إلى أبيها ، ولكن لم يمنع يزيد من زيارة أمه . . . فالأم هي أهم شيء وهي التي تستمر بها الحياة ، فترك يزيد يتردد عليها ويأخذ هدايا إلى جدة جعدر . . . فشاهد هذا السبي من الإناث من قبرص والقيروان وقال ائتوني بأجملهن ، واختار أربعة ثلاثة منهن غير جميلات

وإحداهن جميلة ، وسألهم عن مهنهم ودعاهم إلى أن يتعلموا الطبح وقد كانت المرأة أنذاك المرأة تطبخ وتجلب الإبل والغنم وتعد الطعام لزوجها أو لأبيها .

وقد انفرد بكل واحدة منهم وقال للجميلة سأزوجك يزيداً .

الآن سأرسلكم مع بعض العبيد إلى الحسن بن علي هدايا ، وكان عنده عبد قديم عمره اقترب من الستين استدعاه وعلمه كيف يدرب تلك المرأة التي يرسلها للحسن وماذا يعطيها . . . ثم عرفها عليه وقال لها : هذا الرجل هو معلمك عند الحسن ، وأنت طباخة نشيطة وجميلة ، ولن تخالفيه إطلاقاً ؛ كل أمر يصدره إليك تنفذينه مهما كان ذلك ، لأنك ستكوني في المستقبل امرأة عظيمة .

وكانت ذكية عمرها حوالي 30 سنة وتعرف الرجال جيداً ، وأرسل معها امرأة اقل جمالاً منها لتكون وصيفة للجعدة امرأة الحسن ؛ ثم أعطى أمراً للعبد الذي يثق فيه وله عند معاوسة حوالي عشر سنوات ، وهوفارس . . . لكنه يتقن العربية والفارسية والسريانية .

وكان مخلصاً لمعاوية فأعطاه أوامره وزوده بقوارير من السم ، وأرسله مع العبيد وقال له أنت عندي أرضاً في المدينة وأنت لست عبداً عن الحسن .

عش معهم لأكثر من شهرين حتى يألفوا تلك الجواري . . . وعند ذاك تشاهد هذه المرأة الجميلة وتعطيها قارورة من هذا السم لنضعها في غذاء الحسن . . . ويبدو أن الحسن كان كثير الصلاة حينما يوضع له الغذاء يتغذى لوحده ولم يكن أحد من أبنائه معه . . . فقدمت هذه الجارية ونفذت تعليمات العبد بدقة متناهية وبعد الغذاء أخذت الجرعة من أمانة بعد أن انتهى ، وكان الحسن بعد أن يتناول الغذاء يقدمونه للعبيد والباقي للحيوانات .

وغادرت الفتاة بمفردها إلى أرض معاوية وكان العبد يستقبلها ، وقد جهز الابل والفرسان وغادروا المدينة إلى الطائف وهناك في الطائف استقبلهم فرسان معاوية ولم يعرفوهم ؛ وعندما غادروا الطائف نحو الشام ، لحق بهم الفرسان كقطاع طرق ، وأخذوا إبلهم ، واتهمت الجعدة بوضعها السم للحسين بن علي . . . وتوفي لفوره على عكس ماقيل أنه أخذ السم مرات ونفد منه . بل مات في ساعته وحزنت عليه المدينة وناحت عليه أسبوعاً ، وناح عليه آل هاشم أربعين يوماً . . . ولبس نساء بني هاشم السواد سنة كاملة . . . وبعد السنة أصيب معاوية بمرض فكان يكلف معاونة أن يقيم الصلاة ويخطب يوم

الجمعة لأنه أصيب في وجهه بالحراق قليل ولم يعش بعد ذلك إلا سنة واحدة ومات وعمره محتلف عليه ، فمن قاتل ثمانين أو اثنين وثمانين أو أربع وثمانين .

قضى في الخلافة عشرين سنة في الولاية عشرين سنة وقبل وفاته أوصى بالخلافة لابنه يزيد وحينما توفي كان يزيد بعيداً عن الشام فلم يحضر الدفن فدفن معاوية ولم يذكر قبره الحقيقي . . . إما باب الصغير أو عند باب توما أو في الباب الشمالي أو الجنوبي . . . وفي كل الحالات لا يدقق المؤرخون بل قيل عن قال .

وهكذا تولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان واطلع على وصية أبي سفيان لوالده معاوية الذي قال له فيها يا معاوية أكرم أهل الشام فهم في الضيق يشدون معك وأكرم أهل الحجاز فهم عشيرتك وأقرباؤك ؛ وإذا ظفرت في ثلاث فهؤلاء الثلاث من أولاد الصحابة فهم يكيدون لك كيداً وأولهم محمد بن أبي بكر وثانيهم عبد الله بن الزبير وثالثهم الحسين بن علي فإذا ظفرت بهم فلا ترحمهم . . . وكان أبو سفيان قبل وفاته قد فقد عينه اليمنى في أثناء مروره في غابة في منطقة البلقاء وأوصِ أن يكون بعدك خليفة من عقبك وأوصى ابنه يزيد بهذه الوصية .

ولكن كان قد قضى على الأول محمد بن أبي بكر في مصر .

الحقيقة لقد مات الصحابة العشرة جميعاً ولم يبق منهم أحد ؛ والآن ظهر أبناء الصحابة وعددهم كبير ، وكل منهم يريد السلطة لنفسه .

ويبدو أنهم كانوا متداخلين مع بعض فعبد الله بن الزبير بن العوام أمه أسماء بنت ابي بكر الصديق وخالته عائشة أم المؤمنين . . . وشقيقه مصعب بن الزبير متزوج من سكينة بنت الحسين وله علاقة مع آل هاشم والحسين ، أما عبد الله بن عمر وهو ليس الابن الأكبر لعمر ، لأن عمر عنده أولاد من أم غير أم عمر يسمى أبو حفص أو أبا عبد الرحمن . . . وكذلك عثمان كان متزوجاً من بنات الرسول وعنده من أم كلثوم يزيد وعبد الله وإذا ناقشنا هذا التشابك بين أبناء الخلافة جميعاً . . . وكل منهم يشعر أنه أفضل من يزيد بن معاوية ، ولكن هاهو يزيد بن معاوية قد قبض على الخلافة وريثاً لأبيه معاوية ، وهو لم يكن كريماً كأبيه ، ولكنه لديه مستشارون معمرون من دهاة العرب ، مثل الحكم الذي كان مسؤولاً عن بيت المال فاكتسب خبرة كبيرة وهو الذي عاصر الدعوة من بدايتها . . . ولم يسلم إلا يوم الفتح . . . وهاهو ابنه مروان كان عمر الحكم تسعين حين تولى يزيد مروان في السبعين ولكنهم هم مستشارون ليزيد بن معاوية ، ولذلك كانت تصرفات يزيد متوازنة وأحياناً يشذ عن رايهم ، فله رأيه الخاص . . . وكانت أمه ميسون قد عادت إليه وسكنت معه بعد وفاة معاوية .

أما عبد الله بن الزبير فهو له قبيلة كبيرة وله علاقة واسعة بالتجارة وله صداقات واسعة في مكة والمدينة ومع آل هاشم جميعهم كانت علاقاته طيبة وخاصة بعد زواج شقيقه مصعب من سكينة بنت الحسين فكان دائماً على صلة وثيقة مع الحسن والحسين . . . وبعد وفاة حسن لم يبايع يزيد بن معاوية ، الحسين وعبد الله بن الزبير ، ولم يوافق على خلافته وذهب إلى مكة وسكن هناك وحاول الولاة أن يستدرجهما . . . وكانا يتهربان من هذه البيعة ، وكان الولاة الذين ولاهم يزيد علة مكة والمدينة لا يريدون قسرهما على بيعة يزيد . . .

رغم أن الأوامر المشددة على الولاة وخاصة على هؤلاء الاثنين أن يبايع يزيد . . . وكانوا يرفضون ذلك . . . ولم تستمر خلافة يزيد طويلا ثلاث سنوات ونصف . . . كانت عاصفة حيث لم يحسن التدبير كأبيه . . . ورغم هذه العلاقة الطيبة بين الحسين وعبد الله بن الزبير ، لكن كلاً منهما يطمح بالخلافة ، وكان عبد الله يعتقد أن الحسين أولى منه ، وهم في عمر يتقارب فاتقفا كما يلي :

إذا كان أهل الكوفة والبصرة يبايعون الحسين وقبائل العراق من بني تميم وغيرهم فليذهب إلى العراق ويبايعه عند ذلك عبد الله بن الزبير ، أما إذا حصل له مكروه فيحل محله عبد الله بن الزبير في الحجاز ومكة ويرسل قوات مع مصعب لاحتلال العراق وخاصة أن عنده حلفاء من اليمن من بني حنيفة .

يبدو أن الاتفاق متفاهم عليه ، فكتب إلى أهل العراق الحسين يستشيرهم في الأمر ، وأرسلوا له مئات الوفود أكثر من 600 رسالة وصلته من العراق كلهم يبايعونه ويدعونه إلى الكوفة وهم بعشرات الألوف فشجعته هذه الرسائل واستشار أخوته وخاصة محمد بن الحنيفة وكان أصغر منه بعدة سنوات ولكنه أكبر أبناء علي بن ابي طالب من الذكور بعد الحسن والحسين . . . وكان محمد بن الحنيفة شجاعاً ومقاتلاً وقال له يا أخي إن أهل العراق غدروا بأبينا وأخينا علي والحسين وأخشى أن يغدروا بك وينقلبوا عليك ، ومصالح الناس في هذا الزمان تطغى على المبادئ والقيم ، فأنا أنصحك ألا تغادر إلى العراق ونرسل من يستطلع ذلك . . . واستشار أولاد عمه مثل أبناء جعفر بن أبي طالب وابناء عقيل سلم بن عقيل وكثير من صحابة السنين الأحياء مثل أبو أيوب الأنصاري وعبد الله بن ابي بكر وكثير من الناس ؛ حتى أن أسماء بنت عميس زوجة أبيه وكانت قد ولدت له يحي نصحته ألا يذهب إلى العراق إطلاقاً وكثير من أصدقائه نصحوه أيضاً ألا يذهب إلى العراق . . . فإذا أصر إلى البيعو فأهل المدينة ومكة هم مناصروك . . . ولكن عبد الله بن الزبير كونه يعرف أهل العراق قال له أعتقد أن كل ما أرسلوه إليك لا يمكن أن يغدروا بك ، وهم كانوا مع أخيك وأبيك فأنا أرى أن ترسل معي من يستطلع لك الأمر قبل أن تذهب إليهم ، واختار ابن عمه مسلم بن عقيل أن يذهب إلى العراق ويستطلع الأمر سراً ويتأكد من ذلك وغيره ، وذهب مسلم إلى الكوفة وبدأ باستطلاعه . . .

لا أريد هنا أن أدخل بتفصيلات دقيقة . . . وصل مسلم وبدأ بالاستطلاع ، وكان أحد أنصاره أنصار الحسين الذي نزل في منزله وبدأ يستطلع الأمر ، ويبدو أنه اقتنع بأن أهل الكوفة وأهل العراق مع الحسين ، وكتب إلى ابن عمه أن يأتي إلى العراق ، وتجمع أبناء الصحابة وعلى رأسهم عبد الله بن عمر .

ويبدو أن مسلم بن عقيل اكتشف أمره من قبل عبيد الله بن زياد فاعتقل وفي أثناء اعتقاله استطلع أن يرسل رسولاً آخر لك السيد الذي بدأ في منتصف الطريق أنه اعتقل وأرجو منكم أن تعودوا إلى

المدينة ولا تأتوا إلى الكوفة لأن الناس والقبائل التي بايعتك انقلبت عليك وأنا مقتول من قبل عبد الله بن زياد . . . وتوقف الحسين وبدأ يستشير المرافقين له وأبناء عمتومته . . .

وهنا عندما سمع أولاد مسلم بن عقيل وأخوته جعفر وعبد الله وعبد الرحمن بأن الحسين سيعود أصروا على الاستمرار والأخذ بثأر أبيهم ،كان الناس مترددين منهم سيعود ومنهم من سيذهب . . . . ولكن الحسين بن علي لن يعود . . . وسار هذا الموكب الصغير مع الحسين . . . وكان ابن زياد قد حضر بتعليمات من يزيد جيشاً قوياً بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص لملاقاة الحسين ومنعه من الوصول إلى الكوفة . . . وعندما اقترب من الفرات كان جيش عمر سعد بن ابي وقاص قد قطع عليه الطريق واجتمع هو وعمر وتناقشا نهاراً طويلاً وكان من الممكن أن يتجنبوا القتال ولكن يبدو أن المنافقين عند أبي زياد أو الانتهازيين نصحوه ألا يدع الحسين يعود غلى المدينة إلا بعد أن يبايع يزيد بن معاوية مرغماً في الكوفة .

لكن عمر بن سعد بن أبي وقاص كان يقترح غير ذلك فقد وافق على طلبات الحسين بالعودة إلى المدينة أو الذهاب إلى يزيد بن معاوية في الشام . . . وهناك قد يبايع وقد لا يبايع أو يذهب إلى أخر الشغور ليقاتل مع المسلمين ؛ ولكن عبد الله بن زياد رفض كل هذه الشروط وأرسل مجموعة غلى عمر بن سعد يخبره إما أن تقاتل الحسين أو تعزل عن قيادة الجيش وكان والياً على خراسان أو تعزل حتى من الولاية وأرسل نائباً له شمر بن ذي جوشم .

ونصحوه ألا يتركوه ولن يقبلوا بآرائه وحاصة شمر . . . وهنا ذهب شمر نائباً لعمر بن سعد وقال له إذا لم تقاتل فتخلى عن الجيش فأنا ساقاتلهم . . .

وهكذا كانت معركة طاحنة بين مجموعة الحسين الصغيرة وبين جيش عبد الله بن زياد وعددهم أكثر من خمسمائة بينما كانت مجموعة الحسين قليلة .

وخبرهم الحسين أن يختاروه هو وأنتم في حل من بيعتي ومن يريد أن يذهب فليذهب .

وغادر عبد الله بن عمر ومجمعة معه تركوا المعركة وعادوا . . .

هناك روايات كثيرة ، قيل عن قال ، بقي مع الحسين عدد من أولاده وأخوته وأولاد عمه وجميعهم قتلوا معه وعددهم عشرون ،خمسة أخوته وأولاد الحسين أبوبكر وعمر وعلي وعبد الله وأولاد الحسين أبو

بكر وعمر وعبد الله والقاسم ومن أولاد عقيل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الله بين مسلم بن عقيل .

ومن أولاد جعفر عبد الله وعون ومحمد وهم مجموعة عددهم عشرون وكان منهم بعض نسائهم وأكبرهم زينب زوجة عبد الله بن جعفر وانتهت المعركة في عدة ايام قليلة . . .

وهناك كثير من وضعوا هذه المعركة بأنها فاجعة أن يدور قتال بين جيش وعدد قليل مع الحسين من أبنائه وأخوته وأبناء عمومته فقتل هؤلاء وبقي ابنه زين العابدين وهو أكبر أبنائه وكان مريضاً ولم يقتل ؛ وأسرت النساء والبقايا من الأطفال ، والتاريخ يقول كيف ساقوهم إلى الكوفة ومن الكوفة إلى دمشق موازياً نهر الفرات حتى حلب ثم إلى حماه وحمص وعن طريق لبنان إلى دمشق . . . والتاريخ يذكر كيف استقبلهم يزيد بن معاوية وكانت قافلتهم محروسة بشدة ، فنزلوا في عدة مواقع في الطريق ، ومشوا في حلب حي الأنصاري وعندما وصلوا إلى يزيد كان مع القافلة رأس الحسين . . .

هذا الوضع المأساوي لهذه العائلة ارتكب غدراً عندما شجعوه في المدينة أصدقاء ابن الزبير حتى يخلو لعبد الله بن الزبير المكان ليكون خليفة . . . وأعلن ابن الزبير خلافته بعد مقتل الحسين على المدينة ومكة . . . واستولى عليها ، وعلى العراق وأرسل شقيقه مصعب مع قوات كبيرة واستولى على الكوفة . وكانت معه زوجته سكينة بنت الحسين .

بايع عبد الله بن الزبير اليمن والعراق ولم يبق إلا بلاد الشام لم تبايع ، حتى حمص بايعت عبد الله بن الزبير . . . لكن يزيد شكل جيشاً من الشام وأرسله إلى المدينة واستولى على المدينة . . . وهذا كان رأي الحكم ومروان بن الحكم ، وكان الأمر عنيفاً مع أهل المدينة حيث دمر المدينة بكاملها ماعدا دور الصحابة وبيت الرسول والجامع .

وهنا يتضارب التاريخ عن موت يزيد في هذه الفترة العصيبة ويتولى بعده ابنه معاوية الثاني ابن يزيد ، ومعاوية كان رجلاً لا يحب القتال ولا يرغب في السلطة ، وكان يحب الصيد فلم يبق بالخلافة إلا شهراً واحداً ، واعتزل الخلافة وتولاها الحكم . . . ولكن الحكم كان قد اقترب من التسعين فتوفي خلال سنة وتولاها مروان ابنه وكان قد اجتاز السبعين فلم يبق إلا سنة .

يقال إن يزيد بن معاوية كونه كان غير قائد حكيم . . . فقد سمم ومات ويقال إن ابنه معاوية الثاني مات بالسم أيضاً وهو شاب ولا بد من أن نسأل من كتبوا هذه التوايخ الطويلة المعقدة . . . هل

المنطق يقبل ما يقال من الخرافات الكثيرة حول مقتل هؤلاء الصحابة وأبنائهم . . . والذي الف في ذلك آلاف الكتب .

سواء من الفرس الذين أسلموا إسلاماً مخلخلاً أم من الذين عاصروا الرسول(ص) . . . وأوردوا عنه الأحاديث الكثيرة .

يجب أن تصدقها كما قيلت ، ولكن العقل هو الأول . . . فما يقبله العقل في القرن الواحد والعشرين هو الصحيح ومالا يقبله العقل يكون خرافة مثل كل ما ورد في مؤلفاتهم ومجلداتهم . . . آلاف الكتب عن تاريخ الإسلام الذي لم يكتب إلا بعد قرنين من كل ماحدث فيه .

لم يتول الحكم الخلافة نهائياً .

كان الوقت بعد وفاة يزيد بن معاوية قد اضطرب أكثر ، ومقتل الحسين زاد اضطراباً في الأمة الإسلامية بكاملها ، وخاصة أن معاوية بن يزيد لم يبق خليفة إلا فترة قصيرة شهر أو شهرين أو أقل ، وكان الناس يتصورون أن شقيقه خالد بن يزيد بن معاوية وأمه أم خلف جدها عتبة بن ربيعة وهي قريبة لهند بنت أبي سفيان ويسمونها أم هشام وأحياناً أم خالد ، لأن خالداً أتى بعد معاوية بن يزيد فظنه الناس رجلاً متواضعاً وذكياً هو لم يتجاوز الخامسة والعشرين ، ومروان من الحكم شعر أن الناس يعطفون على خالد ويريدون مبايعته فتزوج أمه أم خالد وكانت زوجة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبنت عمها هند بنت عتبة أم معاوية ، كان يريد أن يسيطر على البيت كله ، لكن ابن الزبير كان قد استولى على الحجاز وأدانت له مصر والعراق ، كما أن الضحاك بن قيس الذي كان قاضياً على الشام أيام معاوية بن أبي سفيان وبقي فيها فترة طويلة وقد كبر في العمر فقد بايع عبد الله بن الزبير ، وكان أمير حمص قد بايعه أيضاً ، واستطاع ابن الزبير أن يحكم قبضته على المدينة ويطرد جماعة الأمويين منها ، وبهذا الوقت المضطرب قرر وفكر مروان أن يذهب إلى المدينة ليطلب الأمان لبني أمية ويبايع عبد الله .وحين وصل إلى حوران تلقاه عبد الله بن يزيد وسأله عن وجهته فقال لمبايعه عبد الله وطلب الأمان للأمويين .

كان عبد الله بن زياد داهية ، وقد اختبر حين كان والياً على الكوفة فقال له ويحك يا مروان أنت شيخ الأمويين الآن هل تبايع عبد الله بن الزبير . .وهو أيضاً كان كبيراً .

عد إلى دمشق . . .فقال إن الضحاك قد تابع ابن الزبير ، فقال دعني أنا والضحاك ، سوف أرتب أمره ، والحرب خدعة ويجب أن نقرع الحديد الحديد ولا نستسلم .

كان عبد الله يشعر بأنه إذا ذهب المال من بني أمية فسوف يموت ، ولذلك كان يغامر وكان ذكياً شجاعاً . . .فقال له : لقد قتلت من آل هاشم الكثير وأبناء علي وأبناء الحسن والحسن فهل نخشى من كلام الناس الذين يقولون أنت كافر وأنت . . .إن الناس يتكلمون حسب مصالحهم وأعاده إلى دمشق ، وذهب عبد الله بن زياد إلى الضحاك بن قيس . . .وتردد عليه أكثر من يوم .

وكان الضحاك قد كبر في السن ، فقال له : كونك لعبد الله بن الزبير بالخلافة وأنت أكبر منه سناً وكنت من الصحابة قريباً منه . وعشت قسماً مع النبي (ص) فاخرج إلى الصحراء وادع الخلافة لنفسك بدل عبد الله بن الزبير .

كلنا نتبعك ونقاتل معك حتى تأمن .

وكان كل من هؤلاء الصحابة يسعى لأن يكون هو الخليفة . . .الولاة في العراق أو في الشام أو في خراسان . . .كان الوقت عصيباً بالنسبة لأبناء يزيد بن معاوية ، وقال له عليك أن تخرج إلى الصحراء إلى مرج كبير فيها وتنصب خياماً و يأتيك زعماء القبائل للمبايعة . . .وادع لنفسك هناك ، ويبدو أن الضحاك قد فكر حقيقة بهذا الكلام وهو أحق بالخلافة من عبد الله .

اقتنع الضحاك من عبد الله بن زياد ، فخرج إلى مرج كبير ، ويسمى مرج راهب ، وعلى واد قريب من تدمر الآن ، فيها مياه وخيول . . .و وافاه أمير حمص الذي كان قد بايع عبد الله بناء على طلب الضحاك . . . ولكنه قال له ويحك أيها الأمير بالأمس دعوتنا أن نبايع عبد الله ففعلنا ، واليوم تدعونا لمبايعتك . . .نحن لا نقبل منك هذا أبداً .

وبين مد وجزر جرت معارك بين الأطراف المتصارعة في مرج راهط .

وكان الطقس جميلاً والخيول مشبعة بالعشب لكن الناس متقاتلين كانوا مترددين .

القبيلة هي القبيلة و كما يأمر زعيم القبيلة تسير خلفه الرجال كما هو قطيع الغنم ، حين يدق جرس الراعي في رقبة المرباع يسير القطيع خلف الجرس .

بدأت الجاهلية تتغلب في هذه القبائل المتصارعة ، وبدأ قتال بين الضحاك بن قيس وهذه القبائل ، وكانت قبيلة قوية واستطاع عبد الله بن زياد أن يدس إلى يتقله ، وعندما قتل الضحاك انفض الناس وعادوا يختارون من يبايعونه .

فطرح عبد الله مروان بن الحكم لأنه كان قد كبر في السن وتزوج أرملة يزيد بن معاوية أم خالد ، و أراد مروان بهذه الفترة أن يسترجع حمص ويسيطر عل الشام والبلقاء وكان يؤيده كثير من الصحابة الذين يعيشون في دمشق مثل أبناء خالد في حمص وأحفاد علي في البلقاء الذين أعطاهم معاوية قرية كبيرة .

وهو عبد الله جده العباس بن عبد المطلب وكان عبد الله في هذه القرية عنده أولاد كثر ، فوقفا مع مروان لأنهم آثروا مصالحهم وألا يرتكبون خطأ كما قتل أبناء عمومتهم الحسين في الكوفة . . . .فتركوا المبادئ وبذلك دانت البلقاء لمروان بن الحكم ، وأسس جيشاً من الشام ومن القبائل التي أيدته ، وبدأ يتوازن قليلاً قليلاً . . . .ومروان هذا عاصر النبي وكان أحد الذين ارتكبوا خطأ ، وهو مسؤول عن الوقف وهو الذي خلق الفتنة التي قتلت عثمان وقاتل من دخل دار عثمان آنذاك قتالاً شديداً بعد

مقتله غادر إلى الشام وسكن أيام خلافة معاوية بالشام ، وحتى يطمئنوا له أبناء يزيد بن معاوية وهم كثر لأنه يزيد تزوج من أم خالد وأم معاوية بن يزيد . . .والبقايا أبناء أمات وابن الأمة لا يتولى خلافة .

هل هذا تشريع سنة معاوية بن أبي سفيان ، لأنه كان يرتب عبد الله أن يكون خليفة ولكن أمه غير معروفة للعرب ، وعنده أخوة كثر ، ولكنه كان يدين بحياته إلى معاوية وإلي يزيد بن معاوية ، ويقال إن زياد بن أبيه كان ابن سبي ، وابن السبي لا يحق له أن يكون خليفة .

هذا التاريخ لا ندري مدى صحته وكيف قيل عن قال . . .وهنا في هذه الفترة القصيرة المضطربة بين العراقيين والشام ، العراقيون كان يدعون أننا نحن خذلنا الحسين وبايعناه ودعوناه ثم خذلناه فيها ولم ننصره ، فعلينا الآن وقد مات يزيد أن نقوم بأخذ الثأر للحسين وهذه كانت كثيرة ، وكانت حرب في منطقة بين العراق والشام اسمها (النخيلة) .

استطاع مروان أن يقضي على هؤلاء الذين أتوا لمقابلة الأمويين في الشام وأن يهزمهم في النخيلة .

وهناك المختار الثقفي في الكوفة يدعو لتولية نفسه على البصرة وخراسان ، وفشل بذلك إذا لم يوافقه أحد ، فانقسم أنصار الحسين أيضاً ، وعاد الأمر واستقر لمروان بن الحكم في الشام ومصر والقدس والبلقاء وهنا كان الناس يقولون إن مروان قد شاخ والخلافة من بعده لخالد بن يزيد بن معاوية زوجة مروان التي كانت قبله زوجة يزيد بن معاوية ، هذا كان مروان يريد أن يقزم خالداً أمام الناس .

وفي إحدى المرات كان مروان بن الحكم في دار الخلافة بالشام وعنده مجموعة من زعماء القبائل فدخل خالد عليه وكان قبل ذلك مروان قد أوصى بالخلافة من بعده لابنه عبد الملك بن مروان .

كان عبد الملك قريباً من الخمسين ، وكان فارساً شجاعاً وذكياً وله تجارب ويعرف أغلب أولاد الصحابة .

أبناء الصحابة هم الذين يتطاحنون على الخلافة وهاهو مروان بن الحكم من زعماء قريش وبني القمية فرع قريش ، وهو من بطن أمية .والعرب قبائل وعشائر وبطون ، فحين أوصى بالخلافة إلى ابنه عبد الملك أتى خالد بن يزيد غلى مجلسه وكان يقزمه بين الناس ، فجلس خالد دون استئذان وصاح به مروان ، لم أذن إليك بالجلوس يا ابن . . . .

نهض خالد وكاد أن ينفر الدمع من عيونه وينفجر غضباً ، ذهب إلى والدته وقال لها هكذا قال لي زوجك الذي يدعي الخلافة والإمارة .

قالت له . . . أهكذا قال . . . . قال نعم وأمام زعماء بعض القبائل . وقالت لابنها هل قلت لأحد غيري . قال لا : قالت له فاكتم الأمر ولا تقل لأحد أنك قلت لي .

وفي وقت آخر وبينما الرياح مشرعة للمروانيين زار مروان بن الحكم أم خالد في منزلها هي زوجته ، وسألها هل قال لك خالد عني كلاماً بسوء فأجابته : إنه يحبك ويحترمك ولم يقل لي إلا الخير فيك ، فارتاح مروان واطمأن ونام يومها عندها . وعندما ركد كانت قد أعدت الجواري فوضعت المخدة على فمه ودخلت وأمسكته حتى فارق الحياة .

وهذا غدر المساء لا يوازيه غدر في التاريخ وكانت تقول : أنا جدي عتبة وخالتي هند أكلت كبد الحمزة فلم يقبل أحد منا أن يهان بكلمة وهكذا فارق مروان الحياة وأعلنت النواح هي وجواريها أن أمير المؤمنين فارق الحياة .

و تولى بعده عبد الملك بن مروان وكان لا يزال في الخمسين من العمر .

يقال إن مروان حين توفي كان فوق السبعين أو الثمانين ، في كلتا الحالتين كان طاعناً في السن ولكنه كان مستشاره الرئيس عبد الله بن زياد .

وهكذا قضي على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين مروان بن الحكم بعد عشرة أشهر دون أن يكمل السنة . . .قضت عليه زوجته وناحت عليه ولم تتزوج بعده .

ولكن استطاعت بذكائها أن تقنع ابنه عبد الملك بن مروان أن يعطيها إحدى القرى حول الشام وأن يولي ابنها خالداً مكاناً جديداً .

هذا أول غدر لامرأة في تاريخ المسلمين وربما كان هناك نساء قد غدرن برجالهم أو أقرباؤهم . . .واستشهاد الحمزة عم الرسول في معركة أحد ليس غدراً بل هي حرب .

فقد دربت العبد الوحشي هند بنت عتبة وقتلت الحمزة وأكلت كبده .

وهاهو حقد النساء ، وهناك من يقول إن أم خالد استطاعت أن تجند أبناءها ، حقد عن الملك بن مروان عليها وأن ترضيه ويحترمها ويساعدها هي وذريتها ومن تحب .

كان عبد الملك بن مروان حكيماً وشجاعاً فقد استطاع أن يشكل جيشاً قوياً لمقارعة عبد الله بن الزبير وخاصة في العراق .

وفي هذه الفترة أرسل عبد الله بن الزبير مصعب الذي كان والياً على المدينة .

نقله والياً على الكوفة والعراق والبصرة ، وكلفه بتعيين الولاة في الخراسان والخليج .
كان مصعب قد أخذ معه زوجته سكينة ، وسيطر على العراق سيطرة كاملة .

قتلت أم خالد زوجها.

وكنا في قرية شمال حماه حوالي 40 كم شرق مورق مباشرة 10 كم ،وكان أبي على علاقة جيدة مع آل مورق من بيت سكام.

هذه القرية كانت خليطاً من عائلات مختلفة سنية وعلوية وتركمان وأكراد أحياناً ،وهم من مختلف القرى...عائلة الشمالي من قرية كفر روم جنوب غرب المعرة قادمون من الشمالي،

ونحن بيت المغربي قادمون من الغرب.

وهناك بيت الجبلاوي من الحولة.

وهكذا بيت الطباني الصوراني.

كان آنذاك الطقس الشتوي غير طقس هذه الأيام ،كانت الثلوج كثيفة شتاء ويعطل الفلاحون عن العمل في الثلج.

وفي القرية مضافة (المنزول) والمختار هو (حسيان) مسؤول عن المضافة . والضيف ينام في المنزول وكان يفد شاعر من السلمية (شتيان) يأتي شتاء والفلاحون معطلون ويسهر في المنزول ويسمعون على نغم الرباب قصصاً وروايات أبو زيدالهلالي0سلامة دياب بن غانم. أو يسمعون الزير سالم وحرب البسوس ،وكيف هذه البسوس قتلت ناقتها وهي في حماية جساس وقتلت الناقة ملك اسمه كليب بن ربيعة ،ولكن هذه العجوز البسوس لم يحمها حساس فطلب منه 3 شروط.

ثمن الناقة إما أن يعبئ لها عباءتها نجوماً أو ناقتها تقوم ،وناقتها ماتت ،أو دم كليب يعوم وهكذا كانت حرب البسوس زمناً طويلاً من أجل الناقة قتل فيها من المئات من البشر —من جساس والزير سالم وتدخلت فيها قبائل .

وكان الشاعر شتيان حينما يرد مقطع–شخط من الرباب ،والناس مجتمعون لأن الثلج كثيف وطيور الزرارير تغزو القرية وبيوتها.

وعندما يستخفون لهذه القصص يتحدثون بين بعضهم ويعلوا النقاش ، وكان جارنا في القرية أبو خالد وزوجه وأتى أن أم خالد قتلت زوجها وشخط على الرباب وهنا صاح الفلاحون ونظروا بأبي خالد وسألوه فقال زوجتي إنسانة طيبة ...فقالوا سنسألها فقال اسألوا (أم محمد) (فاطمة عند البدو فطيم) و(عائشة عند البدو عويش).

حصل نقاش طويل علت أصواته ...أم خالد تضرب أبو خالد ...لماذا لأنه يرغب بالخلافة وهناك عشيرة اسمها الخليفة تسكن في قرية أم حارتين...وتصل إلى مورك غرباً وإلى الغاب وإلى حدود حلب ، وأميرها اسمه الأمير حماد وابنه الأمير صقر.

كان نقاش حاد و توقفت الرباب ليذهبوا للسؤال...ولم يعرفوا شيئاً لا عن الخلافة وأغلبهم أميون بما فيهم أبي وأمي ، ولكن اختلاط أبي مع البدو يجعلهم يحكمونهم في الخلافات ،والبدو يسمون هذا العمل باسم (العارفة) أبي البخيبر.فقتل كلب ثمنه نعجة...وهذا في قضايا أخرى.

هنا لم يستطيع الشاعر أن يشرح لهم من هي أم خالد وما معنى (الخليفة) ،إلا أن الصياح أن أم خالد ضرب خالداً لأنه ليس من عشيرة الخليفة.

وهو يقول لها أنا لست بدوياً أنها من صوران وسألوا أم خالد هل أنت قتلت أبو خالد لأنه لم يقبل كونه من عشيرة الخليفة.

واختلفوا كثيراً وغيروا الحديث غلى قصة حرب البسوس وقصة أبو زيد الهلالي.

لم تسكت أم عمر وأم محمد (فطيم) والدة المؤلف ،والمختار لم يعرف لأنه مثل الفلاحين أمي .

وهذا الختم من السلطة الفرنسية ليمضي كما يريد صاحب القرية ،ثم غير شاعر الرباب الفكرة لموضوع آخر.

فحكي عن قصة البسوس والزير سالم وخساس وكليب والناقة...ثم حولها على أبو زيد الهلالي في تونس وكيف كان الزناتي يتقل أمراءهم ،ولم يستطيعوا احتلال تونس. .استطاع احد الأمراء (يونس) أن يتصل بابنه الزناتي (مسعدة) وهو جميل ووسيم ، وعشقته الفتاة وعلمته ما هي الثغرات في سلطنة الزناتي ومغيرة.

وكان الشعراء آنذاك حينما يتبارزون بالسيوف أو الرماح قبل أن يبدأ القتال يقولون شعراً ،فراح هو يقول شعراً عن أم خالد.

أنا جدي عتيبة....وعمتي هند وأم معاوية قتلت الحمزة ثأراً لأبيها وأخيها ،ولاكلت كبد الحمزة وأنا امرأة يزيد أم خالد وعندي زوجي أن تكون خليفة وغدر بي غدر الذئاب العاوية .

هذا العلج لا يعرف من الإسلام إلا القطع الذهبية .طعني في عرضي رغم أني غفرت له وعوده لي . وهذا لن اقبله منه ،وقررت أن أثور لكرامتي كما ثأرت عمتي أم معاوية .ذهبت روحه تحت...كفسوق نسر محلق في سماء عالية ، أنا كنة معاوية وعمتي هند أم معاوية...

وهكذا بدأ الفلاحون يناقشون هذا الأمر واختلفوا ...لنسال أم عمر أو فطيم . وكاد النقاش أن يخرج عن اللياقة فطلبوا من الشاعر أن يعيد قول الزناتي وقول الهلالي.

لكن الشاعر مشعر بتأخر الوقت.

فقال الآن (قسم منكم يشوي الزرازير)

وكان أبو خالد يشوي الزرازير تحت الثلج ويقول لكل فلاح زرزوران لكن بعضهم يأخذ أكثر من عشرة .

والزرزور طير لا يأتي إلى سورية إلا شتاء ويبقى حتى أواخر آذار على الأشجار ليلاً .

والفلاحون يقومون ليلاً باصطياده هذه الزرازير بكميات كبيرة ببنادق الخردق ثم يجمعونها نهاراً وكل منهم يأخذ حصته.

والآن هم قد نتفوها ويشوونها في المضافة والشاعر رجل يعتبرونه مثقفاً و موهوباً ولاعب الرباب الجميل .

وكان في القرية بعض الشبان يعزفون أيضاً ولكن ليسوا بارعين كبراعته.

هذه كانت حالة القرية شتاء . يتحدثون أحاديث ويناقشون نقاشاً بعيداً عنهم.

إن شيخ الكتاب اسمه الشيخ سعدو من قرية حلفايا. وكان رجلاً طيباً وذكياً وكنا نقرأ عنده القرآن الكريم. وكان يعلمنا الموارد الدينية ويعلمنا دق المزهر الدف ،وعلمني أنا بعد أن حفظت القرآن عنده قراءة القرآن والإدغام والإقلال والغنة. كما تعلمت دق الدف وأنا صغير ،وحينما يصل كسوف أو خسوف كنا نخرج إلى هضبة وندق الدفوف لأن الحوت بلغ القمر... وأحياناً يأتي عسس القرية (نهار) ومعه بندقية مرخصة من القوات الفرنسية ليهاجم لا يموت حتى يترك القمر.

فترك القمر...ولم يعرف شيئاً عن الحياة العامة أخلاقاً ولا من التاريخ إلا مايورده لنا الشيخ سعدو.

والشيخ سعدو رجل طيب يريد التوفيق بين الأديان فكان صديق أبي وصديق أبي عمر وأبي خالد وكل منهم من مذاهب وطرق متفرقة ومتفرعة ولكن الفلاحين هم الفلاحون لا يتأثرون بالأفكار فليس هناك

حاجة في القرية (يصلون في الساحة) ويصومون جميعهم ،وكانوا لا يصلون التراويح وقد عفر الشيخ سعدو لهم ذلك ،لأنهم متعبون بدءاً من شروق نجمة الصبح حتى غروب الشمس والفلاحات ينقلن المياه من بئر القرية على بعد 200 أو 300 م وهن حفاة إلا من كانت تلبس (صرماية حمرا) وكانوا يحملون صفائح المياه... والسقا هو الذي يخرج المياه من بئر عمقه 30 متراً.

ذكرنا كثيراً في روايات سابقة عن حياة الفلاحين. وكتب الأسماء الصريحة. وهؤلاء الشعراء مثل شتيان وأحياناً يأتون رجال دين منهم المزاهر ،يقيمون سهرة في المضافة لدق المزهر ،وكم كنت نشيطاً كنت أذهب مع أبي أحياناً لأسمع دق المزاهر ويأتي الشيخ سعدو.

كان الذين يدقون يعلمون الفلاحين طريقة المولوية وتعلمت هذه الطريقة لنفسي ،ولكن الفلاحين كانوا يستمعون إلى شعراء الرباب أكثر من رجال الدين.

هؤلاء يريدون نقوداً فوراً من المختار أما الشعراء فلا يأخذون إلا في نهاية المحصول كثيراً ما كنا نناقش الشيخ سعدو بعد أن يذهب هؤلاء عن رجال الدين.

يقول لنا : هؤلاء الذين يأتون يمدحون صاحب القرية حتى يأخذوا باسم الزكاة شيئاً لا أكثر ولا اقل. وكذلك شعراء الرباب يمدحون صاحب القرية ولا يسمح له بدخولها.

فصاحب القرية هو السلطة الفعلية الحاكمة لهؤلاء الفلاحين الفقراء.

ولوعدنا غلى أم خالد الحقيقة نجد أنها كتمت أمرها وطلبت من خالد أن يكتم الأمر. ولكن السلطة الحاكمة تعرف الحقيقة ،وهي لا تريد إثارة الفتنة لأمر مضى.

في هذه المضافة التي تجمع الفلاحون والثلوج تغطي الأرض وشاعر الرباب عندهم.

سمع إطلاق نار بجانب القرية من الغرب وصمت الفلاحون . وقال أحدهم هذا هو العسس أي الحارس الليلي ،وحضر العسس يقول:

انتبهوا الذئاب تعوي حول القرية ،والذئاب جوع في هذا الطقس منها جم الدور للحصول على طعام لها ،ولذلك عليكم أن تحسنوا من أبواب الدور ،والذئب يستطيع القفز لحدود أربعة أمتار فيدخل غلى الدار ويقتل عدداً من الخراف في الدار.

وهناك أيضاً الكلاب التي تنبح داخل الدور ،فهي خائفة من ضبع يدور تحت المزابل لأنه جائع أيضاً... فقال له المختار سنوقف الحفلة ولكن اجلس وكل زرزورين...وبما أن

الليل قد انتصف ،فعلى الفلاحين الذهاب إلى دورهم...لكن شتيان يجب أن يبقى ضيفنا غداً وبعد غد حتى نطمئن على سلامته عند السفر ونرسل معه مرافقاً حتى يصل غلى ما يريد.

لأن الحيوانات المفترسة تجوع وتهاجم في هذا الطقس...والذئاب من أشرس أنواع الحيوانات غدراً وخاصة في الليل ، لأنه يرى في الليل كما هو في النهار...(اكتشف فيما بعد أن الذئب عيونه تحت أشعة الحمراء في الليل).

حتى الأغنام عندما تخرج للرعي ليلاً فإنها ترعى في أرض البور تشاهد العشب الذي ترعاه بسبب إشعاع عيونها.

وحين تنظرون في الليل لقطيع الغنم ترونها كالبيل الصغير...وهكذا توقفت الحفلة في مضافة القرية.

وقال لهم أبو عمر كل واحد يأخذ معه عدة زرازير مشوية لزوجته وأولاده ،وقال أبو عمر إن الذئاب لا تهاجم الدور فإنها تخشى من الكلاب المستنفرة في الدار ...ولكننا نحن نخاف لدى خروجنا من المضافة ،إذ نخاف مهاجمة ضبع أو ذئاب.

في وسط الثلوج فإن الذئاب تهاجم مجتمعة وعلق الشاعر شتيان على غدر الذئب قائلاً بقول الشاعر.

منذ زمن بعيد.

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

لذلك فإن الخوف من الإنسان ،لكن في هذا الطقس العاصف فإن اللصوص يتراجعون عن سرقة المواشي...لذلك نحن نعتقد أن الذئاب لا تستطيع أن تهاجم الدور لأن الضباع تخيف الكلاب أما الكلاب فيمكن أن تقاتل الذئاب ،لذلك فلنستمر ساعة نسأل إبراهيم الغريب أبو محمد كيف هاجمتهم وأنت مع الموالي عشائر الموالي هاجمتم الفرنسيين في المعرة بناء على تعليمات إبراهيم هنانو ،وقال له إبراهيم :هذه الحادثة كانت عشائر الموالي ضد فرنسا وكان المرحوم هنانو قائداً في حلب وادلب ، واتفق مع الأمير إبراهيم أمير الموالي أن يهاجم الموالي المعرة ويقضون على الفرنسيين فيها. ونحن قبل أن نأتي غلى هذه القرية كنا نسكن في قرى الموالي شرقي المعرة عند أبو الضهور.

وسألني يوم ذاك الأمير إبراهيم...هل تهاجمون معنا أنتم بيت القريباوي ،فأجبناه نعم دمنا دمكم وقتيلنا قتيلكم...وفعلاً جهزنا أنفسنا وكان ذلك قبل الشروق.

اقتربنا من المعرة كثيراً ،وكان معنا شخص من قرية كفر روم من بيت الشمالي ،ولكن يبدو أن استطلاع الفرنسيين ليس دقيقاً ،إذ لديهم مصفحات عليها وشاشات ابعد من بنادقنا أغلبها من النوع الذي نهبناه من الفرنسيين باروده فرنسية 16 قصيرة أو بندقية طويلة لا تصلح لركوب الخيل ،وفعلاً عند شروق الشمس.

بدأ الهجوم على المعرة ...وكان إبراهيم هنانو ينتظر في الغرب عند منطقة خفرنكن ،ونحن لا نعرف أنه هناك ينتظر نتائج الهجوم.

حينما بدأنا بالهجوم فتحت علينا النيران من عدد كبير من الرشاشات والمصفحات ،وقتل الأمير إبراهيم ،ووصل أحدهم إلى أحد الرماة.

وقتلنا عدداً منهم ولكن نيرانهم كانت أغرز من نيراننا فتراجع الهجوم وانسحبنا...

وكما وعدنا أخو الأمير اتجهنا نحو الكرنفل وكنا نحو 150 خيال بينما تراجع بعض الفرسان إلى القرى الشرقية.

واستطعنا أن نسحب قتلانا من أرض المعركة.

حين وصلنا إلى قرية كفرنبل وكانت الظهيرة ،والطقس ربيع في شهر آذار ،قال لنا إن إبراهيم هنانو ينتظركم في وادي جفار وذهبنا إلى هناك والتقينا بهنانو في وادي جفار شرقي قلعة المضيق.... وكنا 150 خيال وبقي معنا طلقات.

اجتمع هنانو مع البعض ،وكانت القوات الفرنسية قد احتلت قرية محردة.

وزحفت القوات المساحة إلى شمال شرق القبيلة ...وقال أنا أحدثكم وأنا شاهد وكان هناك نقاش معه لو نجح هجوم المعرة وكان اتفاق بينه وبين الشيخ صالح العلي أن الاجتماع في السقيلبية في ذلك اليوم ، ولكن الهجوم لم ينجح ، لذا أرسل رسولاً يخبره أنه لا يتمكن من الاجتماع وليس عنده حالياً ذخيرة ولا أسلحة ،وأرسلني أنا مع رجل آخر من جماعة الشيخ صالح العلي اسمه عبد الرزاق المحمود من قرية اسمها (قلعة الخوابي)، وكان يتقن الفرنسية.... وآل المحمود من عائلة وطنية .

وكان الشيخ يعتبرها ثورة وطنية لا ثورة علوية تشترك فيها كل المذاهب ،وكان سكان حماه هم الذين يمدونه بالذخيرة والسلاح والتموين والرجال.

كان في صقلية ينتظر الاتفاق أن يتوقف أمام الكنيسة....وكان معه ثلاثة أشخاص منهم واحد من قرية حير المسيل غربي سلحب اسمه محمد الخدام وهو الذي يعرف مخاضات العاصي التي عبروها ،ولكن الخوري ظنهم من قطاعي الطرق فقال لهم هناك بيت الشيخ الياس العبد الله ادخلوه أمناً من النار.

وهكذا ذهبوا إلى تلك الدار ورحب بهم الشيخ وسألهم: هل عبد الكريم رستم في هذه القرية أم مسافر ، فقالوا إنه في بيئة فطلب منهم إخباره أن يأتي إليهم.

وعندما وصل الشيخ رستم عرفة ....لكنه لم يفصح عن نفسه ،لأن الزيارة تهدف لتنسيق بين ثورة الساحل وثورة هنانو. وهناك تنسيق بين الشيخ صالح العلي وعمر البيطار وآل الجندي .

وللأسف عندما أخبروا الشيخ صالح العلي بفشل هجوم المعرة ولا يستطيع هنانو الحضور.

فغادر قبل الفجر الصقليبية ،وكانت فرنسا قد زحفت من محردة إلى شمال الصقليبية فعبر نهر العاصي فجراً.

و عاد أبي مرة ثانية إلى هنانو ليخبره ، لكن هنانو قال إنه سيهاجم بالكتيبة الفرنسية بمائة وخمسين خيالاً ،فإذا قضي عليها يستمر وإذا فشل تكون نهاية ثورية في إدلب.

وبعد النقاش أن الأرض لا تصلح لهجوم الخيل في هذا الجو الماطر...لكنه أصر على الهجوم .

ومع الفجر هاجمنا تلك المنطقة وفشلنا أيضاً وعدنا إلى (الجفار) فقرر أن يغادر إلى خان شيحون ومن هناك يغادر إلى منطقة البدو. وهكذا أسرنا وكنا أربعين خيالاً تقريباً.

بعد أن اجتزنا خان شيحون قال لنا أنتم في حل من أمري من أراد أن يذهب معي فليبق ومن أراد أهله فليذهب...

زكنا قد اقتربنا من منطقة الحديدين وكانت قريتنا على بعد ساعة على الفرس فعدت إلى القرية ولم أتابع.

هذا كان القتال ،نقاتل بأجسامنا وأجسام خيولنا وهم يقاتلون بمصفحات وطائرات وعدنا إلى الفلاحة والزراعة ونحن ننتقل من قرية إلى أخرى .حتى وصلنا إلى هذه القرية.

وأظن أن أحمد الشمالي كان في الهجوم على المعرة وذهب إلى قريته كفرروم ولم يرافقنا غلى الجفار.

والتقت إلى أحمد ومسألة هل هذا صحيح فأجابه : لا ..... كلامك صحيح لكن قبيلة الموالي دفعت خسائر فقتل أميرها وعدد كبير منهم . وعدنا نحن فلاحين كما ترونا الآن.

جميعكم اشترك ضد فرنسا ونحن أميون . وأعتقد أن تركيا خذلت هنانو لأنها هي التي شجعته وأيدته في البداية ،و خذلته في النهاية والآن فرنسا تحتلنا ،وأنتم تعرفون أن قرية الطامة يتمركز فيها نحو 120 جندي فرنسي ، وهم يسيطرون علينا وكما تعلمون عندما يأتي الفرنسيون للقرية يهرب منها أغلبنا خوفاً من بطشهم ، هذا السؤال الذي أجبتكم عليه.

أما فيما يتعلق الآن بهذه المضافة، نحن نشوي ونتوقف عن الفلاحة والزراعة والعسس ينذرنا ويخوفنا من الذئاب والضباع.

إن الذئاب تخيفنا أكثر من الضباع لأن الذئب غادر ومهاجم أما الضبع فلا يهاجم إلا إذا كان جائعاً. والضبع جبان إذا شعر أن الإنسان لا يخاف يتركه أما إذا لمس خوف الإنسان يهاجمه...وصادق المختار على كلام إبراهيم وكذلك أحمد الشمالي ،لأن أغلبهم كانوا إما مساندين أو يرسلون إمداداً من القمح والمواشي إلى هاتين الثورتين في الساحل وفي الشمال.

ولكنهم الآن هم فلاحون في هذه القرية ومن تكون عنده بندقية تعتقله القوات الفرنسية والفرنسيون يصادرون أغلب المواشي ،ويصادرون القمح ولا يتركون للفلاح إلا البذار.

حتى الخبز كان الفلاحون يأكلون خبز الشعير.

ومن يوجد عنده قمح فائض يعاقبوه ويسمون المواشي البقر والخيول. حتى لا تباع إلا عن طريقهم وإذا أنفقت أحد المواشي فيجب إن يأخذ الفلاح الدسم ويرسله إلى مخفر الطامة ليطلع عليه قائد السرية الفرنسي هناك.

وفعلاً انتهت هذه السهرة وحصل كل فلاح على عدد من الزرازير المشوية لعائلته.

ولكن هناك من اصطاد نهاراً مئات الزرازير وزوجه كل فلاح كانت قد أكلت مع أولادها زرازير مشوية ومسلوقة.

وأغلب سكان هذه القرى من البدو حتى أن هذه القرية (الكراح أو القراح) يخيم فيها شتاء أكثر من ثلاثين بيتاً من الشعر من عشيرة الطوكان من الموالي.

وفي شمال هذه القرية قرية أبو الهدى الصيادي يخيم فيها عشيرة البدو(الخليفة) . وكل هذه العشائر من قبيلة الموالي.

وهنا كانت بعض المشاكل بين الفرنسيين وسكان هذه القرى.

ولكن كان أصحاب هذه القرى يحلون هذه المشاكل مع السلطات الفرنسية ... إما بالرشوة وكان الفرنسيون يقبلون ذلك كثيراً.

في هذه المنطقة كان يعيش كثير من فضائل الفجر ويخيمون جانب خيام البدو ...ومنهم من يصنع الخواتم ومنهم من يصنع الخناجر ،ومنهم الحسابات ومنهم الراقصات.

والغجر لهم لغتهم الخاصة حينما يتكلمون بها لا يعرفها الفلاحون...في هذا الوقت العصيب كان هذا الحديث بين الثلاثين والأربعين من عام 1900، كاتب هذه الرواية وأنا من مواليد 1931 أ، 1932 ، ولا يعرفون في أي قرية ولدت.... بعضهم يقول في الربيع أو في الحصاد....

ولكنهم يقولون إنني ولدت في ليلة النصف من شعبان وكنت وحيداً لأبي لحوالي سبع سنوات وكان أبي أكبر من أمي بنحو خمس عشرة سنة فهو من مواليد 1888 وأبي مواليد 1903 ، وتزوجها 1920 وعمرها سبع عشرة سنة ولم تلد وأنا كنت بكرها. وشجعوه كثيراً أن يتزوج والفلاحون عادة يتزوجون أكثر من امرأة من أجل العمل ولكنه كان يرفض الزواج ، وكان فارساً شجاعاً ومستقيماً في حياته ،وكان وسيماً ويكحلون عيونهم ويرتبون حواجبهم ،وقد شاهدت عمي له جدائل وخالي كذلك ، وحين كنت صغيراً وعمري سبع سنوات كانت أمي رحمها الله تجدل لي شعري ست جدائل وهكذا كانت حياة الريف صيد الزرازير في الشتاء وأحياناً يبيعون الزرازير في المدينة ويأتون بثمنها من التمور.

ويبدو أنه كان الطقس آنذاك يختلف عن القرن الواحد والعشرين.

وأرجو من كل من يدقق في التاريخ ،وخاصة التاريخ القريب والبعيد قبل الميلاد وبعد الميلاد وقبل الهجرة وبعد الهجرة وكل الباحثين ورجال الدين أن يكونوا صادقين في أبحاثهم ،ولكن يبدو أن التاريخ يكتبه المؤرخين الذين يحاولون إرضاء الحكام...

فالتاريخ يكتبه السلطات الحاكمة كما ترغب ... لن أدخل بالتفصيلات ...سأذكرها في نهاية هذه الرواية.

لنعد إلى تلك المضافة وإلى شيتان شاعر الرباب وهم يشوون له الزرازير.

قال له أحد الحاضرين يا أبو علي غني لنا بيتاً عتابا أثناء العشاء واكسرها لنا على الميجنا قال له:

يا أهل قراح أنتم هلي

وأنتم ببالييي كل ماهل هلي

وأنا أزوركم وأشكر صاحب القرشة

ومختارها وكل ملة وكل ماطلع القمر

وصار الغياب

وكسره على الميجنا شووا الزرازير بتصير عشاءنا

وأهلاً وسهلاً بكم وبالحاضرين والميجنا

فصاح المختار:

روح لعند أمك وأحضر الخبز.

وكان الخبز آنذاك...فرنسا صادرت القمح والخبز ذرة بيضة وشعير (بغيتي) يعني خليط:

قال له هذا الخبز يفيد العجائز.

وصاح أحدهم بعبد الله الغريبي: ابنك شو صار في...ابنك خليفة ،قال : جاءت الجندرمة الدرك باكراً وأخذوه من عند الشيخ سعدو وذهبت معه وعدنا معاً...كان لا بد لي من أن أرافقهم على بغلتي وأخذ لهم خروفين لمخفر الجندرمة في صوران وهناك جرى تحقيق مع الولد من قبل رئيس مخفر الدرك ، وعندما رأى الخروفين خفف الأسئلة عن الولد ،بعد أن هددوه بأنهم يرفعونه فلق. فاعترف الولد بالحقيقة والحقيقة أن هؤلاء الدرك أتوا له بمجلة أبناء موسكو ،وكما سمعنا أن الشيوعي يتزوج ابنته وأخته ويبيع زوجته...فكيف وصلت هذه المجلة إلى هذا الولد وهي أبناء موسكو .

فكان التحقيق أننا حين ذهبنا إلى طاحونة أخذت معي ابني ،وفي داخل الطاحون يبدو أن الولد كان يبحث في داخل البناء فشاهد مجلة عتيقة فأخذ يتصفحها ، وهو يقرأ أو يكتب عند الشيخ سعدو.

والشيخ سعدو غاب اليوم لأنه ذهب إلى حلفايا...وشاهد قسيمة في المجلة من يعبأ هذه القسيمة تأتيه المجلة إلى العنوان الذي يضعه عليه.

وعبأ القسيمة وفي الدكان المجاور للطاحون اشترى ظرفاً وطابع لأن الدكان فيه طوابع ووضع القسيمة في الظرف واشترى طابعاً بقرش والصقه في بريد المخفر.

منذ خمسة أشهر حينما طمننا في أواخر تشرين الأول ...واليوم كانون...

وأتت المجلة إلى عنوان سوريا حماه مخفر صوران قرية قراح.

أتت المجلة إلى هذا الولد.

حقق الدرك من هم الشيوعيون الذين أتوا إلى القرية ونظموا هذا الولد وظنوا أن هناك خلية شيوعية...ونحن لا نعرف عن الشيوعية شيئاً إلا كما قال ذلك البدوي ،وذكرتها أنا كانت هذه الرواية في رواية (التحول الكبير) ورجال الدين لم يعرفوا أن يفسروها.. فقال ذلك البدوي الشيوعية هي الأرض التي يرعى بها.

وانتهت المشكلة وعدنا بالولد ...لأن الخروفين حلا المشكلة ...وأخذوا المجلة معهم.

وعندما عدت بها هددته أنا أيضاً : نحن لا نريد مشاكل.. وهكذا غدا خليفة وكأنه منهم بأنه شيوعي ...وأثرت عليه هذه الحادثة في كل حياته.

وحين كنا نبحث كان الذي يشوي اللحم لم يسمع إلا بكلمة خليفة ...وصاح بالمختار مختار عشيرة الخليفة: عليك أن تزورهم لأنهم لا يرغبون أن ترعي في مراعيهم وقد طردوا أمس مواشينا من الأرض وقال آخر : يا جماعة أنا لم اسمع بكل هذا الحديث... ليكون الخليفة هو أبو جعفر المنصور ،كان يستدرج أعداءه ويقتلهم غدراً ،وهذا الولد الذي صاح كان قد قرأ كتاباً عن زوجته الخيزران أنها قتلت ابنها الهادي بن جعفر المنصور بالسم...

هل تعتقدون أن امرأة تقتل ابنها وفي ذلك الكتاب الكثير من المشاكل بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني...وكان الخراساني من مؤسسي الدولة العباسية ،وفي الكتاب يقول قرأته ولم أدر ماذا يكون مدى صحته.

إن العجم في خراسان كان إسلامهم هشاً، وهم يؤيدون أبا جعفر المنصور ،ويوفقوا معه ، وكان قتال شديد بين أبي مسلم الخراساني والأمويين في دمشق.

ولا يذكر الكتاب متى كان تاريخ ذلك ، فهو كتاب عتيق ولا نعرف مؤلفه.

صاح رجل آخر : هذه أحداث تاريخية منذ عشرين ألف سنة ،فقال أحدهم منذ عشرين ألف سنة لم تكن هناك كتابة ،كان الجميع أميين ،وإذا حسبنا من وقتها إلى هذا الزمن الصعب من احتلال فرنسا لسوريا ،كم مر بشر في هذه المدة الطويلة ، وكل هذه كتب قيل عن قال...وهي تكهنات ، ولكنهم يسوقونها بعد توفر الورق والحبر...وحتى لليوم لا نستطيع أن نشتري إلا الريشة وننظمها للولد ليكتب بها عند الشيخ سعدو...ودواة الحبر المسحورة هي من عجائب الزمان.

ورد آخر هذه الأحاديث لا تهمنا ، نطلب من إبراهيم الغربي لماذا فشلت ثورة هنانو وثورة الشيخ صالح العلي ،فأجابهم المختار: هذه القضايا لا تخصنا ، وهذا الحديث نريد ألا نسمعه لأن الحيطان كما تعلمون لها آذان فيسمع ال في قرية الطامة ويعاقبنا لذلك لا نريد البحث في هذا.

قال إبراهيم : لا علينا أن نعرض بعد أن قتل قسم من آبائنا وأجدادنا في كلتا الثورتين .

تأمر الأتراك على هنانو بعد أن اتفقوا مع فرنسا وغدروا به ،لذلك فشل.

أما ثورة الشيخ صالح العلي فقد استطاعت فرنسا أن تشتري بعض زعماء العشائر ،وذهبوا من سوريا إلى بيروت لمقابلة الجنرال غورو ويبدو أن هناك قد أعطاهم مالاً واشتراهم ووعدهم بمناصب كبيرة على أن يسحبوا عشائرهم من عند الشيخ صالح العلي .

والحقيقة أن كثيراً من زعماء العشائر لم تشترك في ثورة الشيخ صالح العلي لأن كلاً منهم يريد أن يكون زعيماً.

وقد أخبر الزعماء المرتشين الجنرال غورو أن سكان حماه وريفها هم الذين يدعمون ثورة الشيخ صالح العلي... وخاصة بيت العظم والبرازي والكيلاني وكبار العائلات أمثال الشفاف والزكار والشيشكلي والحوراني وكل عائلات حماة تمد ثورة الشيخ صالح العلي بالسلاح والذخائر والتموين ،فإذا استطعت احتلال مدينة مصياف وقطع الطريق عند الشيخ العلي ونحن نسحب عشائرنا يتوقف الشيخ صالح العلي أو يتجه شمالاً ، إذ لا إمداد لديه...ومنحهم الجنرال غورو وسام (جوقة الشرف الفرنسي) ولن أذكر أسماءهم حتى لا يتحسس أقرباؤهم وعشائرهم...رغم أن قسماً كبيراً رفض كطالب الزعماء وتابع الثورة.

وهكذا غدر بعض الزعماء بالشيخ العلي وتوقف الإمداد في الشمال وتعاون الشيخ العلي مع عمر البيطار ومع التركمان ومع جبل الأكراد في شمال اللاذقية . واستمرت الثورة سنة كاملة رغم كل هذه

المضايقات والحصاد...حتى الناس بدؤوا يأكلون (الدوام) من تحت شجر السنديان.يجمعونه ويطحنونه ويخبزونه أو يشوونه ويأكلونه.

هكذا وصل الحال ولذلك توقفت الثورة بعد أن قصف جبل الأكراد بالطائرات الفرنسية وخاصة بعد أن احتل غورو دمشق وغادر الملك فيصل واستشهد يوسف العظمة...

كانت حماه تمد ثورة الشيخ صالح العلي حتى بالرجال وحين تشكل فوج الملة من مختلف الطوائف وذهبت منه سرية الاستطلاع 120 شخص واشتركوا بقيادة اليوزباشي جميل ماميش في تلك الحرب الهائلة . ووقعت خسائر كثيرة بين المدنيين ودمرت كثير من القرى بالمدفعية الفرنسية.

واستمرت تلك المقاومة العنيفة من عام 1916 وانتهت الثورة في عام 1921 عندما سيطرت فرنسا على الساحل السوري والجبل وادلب وريف حلب الجنوبي.

كان ذلك الغدر من قبل زعماء العشائر ولو تابعوا لتابعت فرنسا الحرب.

ودوماً الذين يحبون وطنهم يجب أن يقاتلوا العدوان... فنحن عرب والعرب قاتلوا ،ولكننا باسم الإسلام حكمونا الأتراك 400 سنة . وحتى الآن مازال منا من يتكلم بعض كلمات التركية ودخلت في العربية أمثال خاشوقة واللكن والقابوس..والطنجرة..

هذا كان حال الغدر في كل التاريخ ، لا يتوقف إطلاقاً مادام هناك نفوس ضعيفة تشتري بالمال.

أما نحن في عام 1914 لا أدري من قد فسد علينا أننا لسنا بدو فاعتقلنا الأتراك وساقونا إلى المعرة أنا وأخي علي وعمي سليمان أبو زوجتي وهناك استطاع أخي عبد الله أن يذهب إلى شفيقة أبو هدى السلطان. ولا تزال المرأة حية الآن.

ذهبت مع أخي إلى المعرة وشارطته أن الأتراك يحتاجون إلى إكراميات ، فكان شرطها أننا نحن ثلاثة فيدفع لها 15 ليرة ذهبية وكانت الليرة الذهبية هي الحميدية والرشادية لوالي حلب... وركبت على فرسها وأخي على بغلته وأتوا إلى المعرة واستقبلتها اليورزباشي وهكذا تركونا لأننا من البدو...وفعلاً رحلنا إلى تربة لا يصل إليها الأتراك.

كانت هذه القرية من خرائب الزلزال والبدو لا يسكنون في البيوت...

بل خيام سوداء شتاءً وخيام صوف بيضاء صيفاً وخيام الشعر لا تدلف تحت المطر ، هذه كانت حالنا وحال الفلاحين.

صاح أحدهم يا أبو محمد شكراً لك لقد سلقنا زرازير كثيرة وشوينا كثيراً ووصل الخبز من بيت المختار...فليأخذ كل واحد رغيفاً ومعه ما يرغب من الزرازير. أما قصة الغدر فأرجو ألا نتحدث عنها إلى صاحب القرية إلا بالخير. ويكفي المختار والوكيل أن يتحدثا عنها لصاحب القرية.

ورد المختار صد قوي لن أتحدث إلا بالخبز وهكذا بدأ توزيع الزرازير على الرجال وقال أبو علي شيتان:

يا ميجنا اشووا زرازير تكفي عشاءنا فرد المختار والله يا أبو علي شيتان كان يجب أن نذبح لك ديكاً لكن اليوم تأخرنا بالعشاء فنتمنى أن تبقى ليلة ثابتة ،فالثلوج كثيفة...ابق حتى يذوب الثلج وأهلاً وسهلاً بك. ولكن عندنا في القرية شاب وسيم يلعب على الرباب أيضاً ويدق القصب والناي ،ولكنه مازال مبتدئاً وليس شاعراً وهو يغني أغاني بدوية.

سمع إطلاق نار من خارج القرية ، فقال أحدهم إن الحسس قد أطلق لإضافة الذئاب من الهجوم علينا أو على أحد الغنم أو ربما الإطلاق بسبب الخوف..

انتهت السهرة وكل منهم يحمل فانوساً هوائياً ويذهب غلى منزله ولا يمشي أحد منفرداً إطلاقاً خوفاً من مهاجمة ضبع أو ذئاب.

فصل(غير مزدوج)

سأعود مرة ثانية كيف حصل الغدر المزدوج بين الخليفة عبد الملك بن مروان وبين عائلته عمرو بن سعيد بن العاص ،وكان عمرو بن سعيد ولاه معاوية على المدينة ثم تابع ولايته بعهد يزيد ثم أتوا على الشام مع أولاده ،واستعاد مع الخليفة مروان بن الحكم قبل موته مصر وكان فارساً شجاعاً وكان خطيباً ووعده مروان أن يكون ولي عهده حينما ذهب إلى مصر واسترجعها من عبد الله بن الزبير. لكن مروان ولى ابنه عبد الملك خليفة .وقال أنت تكون نائب عبد الملك ورضي بذلك وهؤلاء الأقرباء كلهم جدهم واحد هو العاص.

كان عبد الله بن الزبير قد احتل الحجاز واليمن وفارس لكنه فقد مصر والشام ،فقرر عبد الملك بن مروان وشكل جيشاً قوياً لاستعادة العراق من مصعب وكان هذا الجيش بقيادة عبد الملك ووضع على يمينه خالداً بن يزيد وعلى ميسرته عبد الله بن يزيد بن معاوية وغادر نحو الشمال الشرقي وقبل أقل من يوم التحق به أحد أبناء يزيد مع مجموعة فرسان ،قبل أن يغادر عبد الملك دمشق ترك لها حاكماً هو عمرو بن سعد (الأشدق).

والذين لحقوا أخبروه أن عمرو بن سعد قد استولى على بيت المال ودار الخلافة وعلى دمشق ويطلب حلفك ومبايعته فكر راجعاً وحاصر دمشق وطلب من عمرو بن سعيد أن يفتح الأبواب وبعد مفاوضات طويلة وعهود ومواثيق أنه يكون الخليفة من بعد عبد الملك ويبدو أنه كان أكبر من عبد الملك وأن مروان بن الحكم خدعه ولكنه أعطى كتباً خطية له بتوليته الخلافة من بعده وأن يكون نائبه ويأخذ من بيت المال حصته هو وعائلته ويأخذ من بيت المال حصته هو وعائلته وهم أقرباء ،وبذلك دخل عبد الملك إلى دمشق بعد هذه المفاوضات التي استمرت أكثر من عشرة أيام. كان الطقس سيئاً ،وبعد أن هدأت الحال ووصل إلى دار الخلافة وهدأت الحال عدة أيام وطلب من ابن عمه عمرو بن سعيد أن يزوره في دار الخلافة وقال له أنت نائبي ولا تزورني وشاور أقرباؤه وأخوته وخاصته زوجته فقالت له لا تذهب ولكن كان معتداً بنفسه وواثقاً منها فلبس درعه تحت ثيابه وتقلد سيفه وذهب إلى دار الخلافة مع مجموعة من فرسانه ولكن حرس عبد الملك أدخلوه ومنعوا الآخرين من الدخول إلى الدار. واستقبله عبد الملك وأجلسه على سريره ، وقال له ويحك يا عمرو نحن عمومة هل تريد أن يطمع بنا ابن الزبير بعد أن استرجعنا مصر وفلسطين والشام وأنا شكلت جيشاً لقتال مصعب بن الزبير.

أتفعل هذا من أجل منصب فاعتذر له عمرو وقال هكذا حصل...والآن سويت الأمور بيننا. فنظر غليه وقال تأتي إلى الأمير حاملاً سيفك وتجلس على سريره...هل أنت قادم لقتله فاقتلني لا سلاح معي فخجل عمرو بن العاص منه وسلم سيفه لمولى عبد الملك وبقي جالساً معه.

وفجأة دخل موالي عبد الملك وانقضى عليه عبد الملك وطرحه أرضاً وقال له : ويحك يا عمرو أما أن تقتلني أو أقتلك فما رأيك.

قال رأيك قال أن أقتلك وقتله وحز رأسه ولكنه تلبك ومواليه يساعدونه ثم أخرج مولاه الرأس ورماه لأتباعه فبدل أن يقاتلوا ليدخلوا عنوة ولكن خالداً بن يزيد رمى لهم دنانير خارج الباب فالتهوا بها وشال الموالي عن صدر عبد الملك وبعد أن غير ثيابه خرج إلى الجامع ليخطب بالناس فصاح أين ابني الوليد ،فقال إذا قتل يكونون قد أخذوا بثأرهم فكان غدر من عمرو بن سعيد بن العاص وغدر مقابل بن الوليد .فأشار إليه إبراهيم قائلاً إن الوليد عندي وقد خرج جرحاً بسيطاً فاطمئن .

ألقى خطبة بليغة فقال عبد الملك والله كنت لا أنوي قتله وهو من عائلتي وأقربائي ولكني قلت إما أن تقتلني أو أقتلك فاخترت أن اقتله وبعث إلى زوجته أن تعيد الكتاب الذي كتب له.

فأجابته أنه دفن معه لتحاسب يوم القيامة بالكتاب.

وهكذا انطوت سيرة عمرو بن سعيد وأرسل أقرباءه وأبناءه إلى الكوفة لعند مصعب بن الزبير عاد إلى الجيش وجعل خالداً بن يزيد على ميمنته وعبد الله بن يزيد على الميسرة .فأخذ معه أغلب أبناء يزيد وأبناء معاوية وكان شاباً ووسيماً وشجاعاً وان كان لم يتجاوز الثلاثين من العمر وهكذا كان الغدر المزدوج فسأله أحد أصدقائه المقربين...كيف قتلت قريبك عمرو بن سعيد بن العاص فقال له يا رجل لم يلتق بعيران على ناقة إلا أن يقتل أحدهما الآخر وهذا الكرسي سيقاتل عليها كثيرون في المستقبل بعد موتي.

وهكذا كان هذا الغدر المزدوج .وصل إلى الكوفة ووقف قبلها بأميال وأرسل إنذار إلى مصعب بن الزبير ،وكان القتال للاستطلاع و استطاع عبد الملك أن يتأكد أن أحد زعماء عشائر اليمن التي تقاتل مع مصعب إذا ما قاتلت مع مصعب سوف لن ينتصر.

فما هي الحالة فأرسل سراً بعض معاونيه لزعيم هذه العشيرة اليمني وكان الجواب لقد بايعت عبد الله بن الزبير ولم أنكث في بيعتي فأرسل له رسولاً آخر وأرسل له دراهم كثيرة وقال له أنا لا أريدك أن تنكث في

بيعتك لعبد الله بن الزبير ولكن إذا ما ناسب الصراع فقف على الحياء فوافق زعيم هذه القبيلة التي كانت اليد اليمنى لمصعب بن الزبير وبهذه الحالة غدر بمصعب من قبل زعيم هذه القبيلة فدارت المعركة وكانت قاسية بين الطرفين فقتل أبناؤه الثلاثة ابن سكينة بنت الحسين وأبناء عائشة بنت طلحة وخيروه بوقف القتال ومغادرة العراق ولكنه رفض رفضاً فليفعل وأنا في حل من بيعته لي وخاصة أبنائي وكانوا أكثر وأصروا على القتال معه وكانت معركة قاسية وصاح فيها المنية ولا الدنية...القتال حتى الموت وقتل مصعب وهربت فلول من معه وهكذا استولى عبد الملك بن مروان على العراق وعلى خراسان ومن الولاة هناك وعين خالداً على خراسان وعبد الله ما وراء النهر وآخرين على البصرة والحجاج على الكوفة وأمره بتحضير جيش لمهاجمة عبد الله بن الزبير وأمره بتحضير جيش لمهاجمة عبد الله بن الزبير الذي كان على الحجاز واليمن وهكذا كان الغدر هنا بين الأقرباء والأصدقاء وبين القبائل والفرس لأن إسلام الفرس كان هشاً.

وحتى الآن إن إسلام الفرس هش، فاعتقادهم ليس هناك خلافة وإنما ملك فالمنتصر هو المالك أما إيمانهم بالإسلام إيمان مصالح أو خوف من المسلمين العرب ومن العرب لأن العرب يعتبرون الفرس موالي وهم أقل منهم واعتبروهم سبايا وعبيداً. أما الفرس فكانوا يعتقدون أن يستعيدوا إمبراطوريتهم القديمة وكسرى وعرش كسرى ولا يمكن أن يستعيدوه إلا عبر الإسلام.

كانت هذه نهاية مصعب وأمه يمينه وهو ليس ابن أسماء بنت أبي بكر.

عبد الله بن الزبير ابن أسماء بنت أبي بكر ، أما مصعب فأمه يمنية وكان جميلاً وشجاعاً وكان عنيفاً حتى قيل إنه حين زار الكعبة مع أخوته طلب كل منهم طلباً من الله فطلب عبد الله هداية في التقى والصلاح وكراهة الفتن والتعبد وطلب عبد الله بن عثمان الطلب نفسه أما عبد الله بن الزبير فطلب أن يكون خليفة للمسلمين ،لكن مصعب طلب أن يكون والياً على العراق ويجمع بين سكينة بنت الحسين بن أبي طالب وبين عائشة بنت طلحة بن الزبير وهي جميلتان جداً وأديبتان وهكذا لبى الله طلبهم جميعاً..

يوضع في موضع أخر من الكتاب

سأنتقل هنا إلى القرن العشرين

كان شتاءً قاسياً وسأعود إلى وضع الشاعر شتيان لاحقاً ،والفلاحين في مضافتهم بهذا الطقس المثلج المستمر شتاء في ك2 ولكن هنا قفزت قفزة طويلة عندما كنت قد دخلت المدرسة محمدية الشرعية طويلة في حماه ومديرها الشيخ محمد الشفقي وصاحبها الشيخ محمود الشفقي رحمهما الله ،وكم حزنت على الشيخ محمود حينما علمت بوفاته فقررت آنذاك أن أبني له قبراً جميلاً وهذا ما حصل . وكان يسكن في تكية جمال العمرة من أيام العثمانيين.

كنت أزوره سنوياً...ومن المدرسة المحمدية حصلت في سنة 1947/1946/ على السرتفيكا وفتحت كرسي مجاني في ثانوية ابن رشد في حماه 1947-1948 ،وتلك السنة كانت سنة سوداء على العرب في قضية فلسطين.

ووصل إلينا نازحون وخيموا جانب المدرسة شمالاً وكانوا يقولون لنا أيام وسنعود وفي تلك السنة تبدلت اللغة الفرنسية إلى الانكليزية وكان يدرسها أساتذة وفلسطينيون يتقونها ومنهم أستاذنا البرهاني وكان معلماً جيداً وكنت أزور هذا المخيم حين يتاح لي ، وكنا نجمع الخبز ونأخذه إلى مخيم الفلسطينيين.

وفي هذه الفترة أمضينا السنة مظاهرات وإضرابات من أجل قضية فلسطين وكانت الأحزاب كثيرة في مدينة حماه حزب الأخوان المسلمين حزب الشباب لأكرم الحوراني (العربي الاشتراكي) –القوميين السوريين–حزب الشعب...وكان هناك شيوعيون .

هذه الأحزاب الموجودة كانت تتصارع يبعضها البعض وعلى ما أذكره أن صاحب الخان وكان له عدة أولاد وقد نظمهم كل ولد في حزب وسألته وأنا صغير لماذا لم تنظمهم في حزب واحد ،فقال : الحزب القومي يكون له فيه عود ، ألم تسمع المثل العربي :باريت في كل حزمة في عود وفي كل سرب لي خيال.

وهكذا الأولاد الحزب الذي يحكم يكون لنا فيه شخص ...وقد ذكرت ذلك في رواياتي السابقة.

كانت السيطرة للاتجاه القومي والإسلامي أكثر شيء في المدينة...وكان الحزب القومي حزب الشباب أكرم الحوراني يقابلهم في المكتب نفسه حزب الإخوان المسلمين عند جامع السلطان.

كنت أنا في هذه الثانوية واحكي..أنام فيها والطعام مجاناً ،وكان شكري القوتلي رئيس الجمهورية وكان وطنياً مخلصاً...وكان في حماه يقول رغيف الفقراء كان أمر به رئيس الجمهورية كل عائلة فقيرة تأخذ من الفرن أرغفة على عدد أفرادها. وكانت الجمعية الإسلامية التي يرأسها الشيخ محمود الشفقة ،كانوا يسمونه الفرنك...يدفع المواطن فرنك بالشهر ، وهذا الفرنك يدفع لأصحاب الفران ،ويرسل مبلغ من رئيس الجمهورية دعماً للفقراء ،وهو الذي أعطى أمراً لوزير التربية بأن تكون في كل مدينة فيها طلاب فقراء ثانوية لهم للدراسة والنوم مجاناً،وكان العدد (120) تقريباً من الريف كله.

كنت أنا الطالب الوحيد من الشمال الشرقي.وبدأت سنة 1949 بمظاهرات أشد عنفاً ولا ندري نحن الطلاب أكثر مما يعلمنا الأساتذة وكان أساتذتنا موزعين على الأحزاب وأغلبيتهم كان في حزب أكرم الحوراني هو حزب الشباب أما حزب البعث فكان له حضور قليل حين وصل من فرنسا وجمال الأتاسي وفيصل الرتبي وأحدثوا مشفى في حماه وكانوا منظمين في حزب البعث.

وكانوا يقدمون محاضرات عن القومية العربية ونحن نحضرها.

كان الأستاذ زكي الأرسوزي مدرساً في ثانوية ابن رشد ويعطي مادة المنطق الفلسفة لطلاب العاشر وكونه كان أعزباً أعطته المدرسة غرفة مع المهاجع فيها.

وكان بعض الطلاب يدفعون نصف قسط من الريف وينامون أيضاً ..ولكن في هذه السنة وقعت إشكالات في القيادة ففوجئنا بانقلاب عسكري قادة الزعيم حسني الزعيم 1949/4/29 وكان بياناً للشعب كم هللنا وتظاهرنا لدعم هذا الانقلاب وخاصة أنه أصدر مرسوماً لمنع هجرة الفلاحين أثناء السنة الزراعية ويمنع تهجيرهم.

ونحن اعتبرنا أكرم الحوراني أثناء هذا الانقلاب وخاصة بعد أن منع الكلابية والطربوش في المدرسة ،ومنع الأساتذة من لبس الطرابيش في المدرسة وكذلك أصدر مراسيم كثيرة في الإصلاح وخاصة في تطور المرأة ومنع حجاب الوجه ويكفي الرأس وشجع التعليم ووعد وعوداً كثيرة في تحرير فلسطين وفجأة شكل وفداً عسكرياً لتوقع اتفاقية رودوس ، وهي الهدنة الطويلة مع اليهود لأن مصر كانت وقعت الهدنة وكذلك الأردن ولبنان فقال أنا مع الجماعة فأرسل هذا الوفد ووقع هذه الاتفاقية.

ولا أريد أن أغمز في تاريخه لأنه كان سابقاً قائد كتيبة العشائر في تدمر وهو خريج الكلية الحربية في اسطنبول وكان قد سجن أيام فرنسا بتهم لا أعرفها ولفترة قصيرة. وسرح من الجيش وأعاده شكري

القوتلي إلى الجيش وعينه قائداً من أجل قضية فلسطين ، وإذا به يقضي على شكري القوتلي ويعتقلهما ويقوم بانقلابه عليهما.

إذن الوفد الأول كان من أجل الهدنة الطويلة وهنا قدمنا قليلاً من الدعم له...ثم بعد أيام وقع اتفاقية التابلاين (مرور الخط ضمن الجولان إلى لبنان) وقد خفنا أن تأخذ منه إسرائيل فرعاً لها .ولكن وقع الاتفاق كان نقاش عنيف ضد التابلاين والتابلاين شركة أميركية تتحكم بسياسة الشرق الأوسط ،ولكي يرضي الانكليز مع اتفاقية الزيوت مع شركة لها موقع في حمص لكي يرضي الشركتين.

لكن فرنسا لم ترضي بذلك لأنه ليس لها حصة فكان لا بد من ذلك.

وفي هذه الفترة وصل إلى الشرق الأوسط زعيم الحزب القومي الاجتماعي أنطون سعادة ووصل عن طريق الأردن ولا أدري رغم كل الأبحاث ماذا كان يعمل في الأردن تثرف من الموت أهو مع الحزب أم مع السلطة الحاكمة.

واستقبله حسني الزعيم استقبالاً جيداً ويقال وأنا غير متيقن إنه هو وحسني تغدوا في مكتبه وأهداه مسدساً بلجيكي عيار 14 واتفق معه على الذهاب إلى بيروت والقيام بانقلاب في لبنان وحسني الزعيم يدعمه..وكان هذا الاتفاق في 1949/7/8 ويبدو أن الزعيم قد نصح أنه إذا دخل هذا المدخل سيقتل ولا ندري من سيقتلك ...وعندئذ أخبر رياض الصلح بأنني أرسلت لك أنطون سعادة اليوم يصل إليك مساءً وسيقيم انقلاباً في الليل. واعتقل أنطون سعادة على حدود لبنان من قبل الأمين العام اللبناني بأمر من رياض الصلح.

كان بالنسبة له الوضع عصيباً.

وفي تلك الليلة شكل الصلح محكمة ميدانية وحكمته وأعدمته ،وكان هذا غدر حسني غدراً لم يقم به إلا الناس غير الأسوياء.

ويبدو أن السلطة في كل العهود تكون هكذا وبعد أيام من 7/8 في 1949/8/13.

وقع حسني الزعيم اتفاق النقض مع فرنسا ، وبذلك أرضى فرنسا لكن الجريدة الرسمية لم تنشره ،فاعتبر توقيعه غير قانوني ، وجرت محاكمات بين فرنسا وسوريا وتم إلغاء الاتفاق الفرنسي.

صباح 1949/8/13 اعتقل حسني الزعيم ورئيس وزارته محسن البرازي وكان من قام بهذا الانقلاب معاونه سامي الحناوي وأخذوه بمصفحة عسكرية إلى منطقة أم الشراطيط على طريق القنيطرة

هناك أنزلوه ملازمان أوليان. وعندما أنزلاه وأوقفاه كان شبه منهار وكان عمره أصبح بالستين تقريباً وقال له الملازم الأول يا حسني هذا هو مسدس أنطون سعادة الذي أهديته إياه وأطلق عليه الطلقات التي أهداه إياها.

وهكذا كان غدر مزدوج.

أما مقتل محسن البرازي ،كان رجلاً وطنياً طيباً ،ولن يدخل في مثل هذه الطبخات الصغيرة وهو حموي ،فالذي أطلق عليه النار كان يعمل في وزارة الخارجية وكان قد سرحه عندما كان وزيراً للخارجية بتهمة رشوة أو سرقة.

وأطلق عليه النار وقتل مع حسني الزعيم . وهكذا غدر بأنطون سعادة. رحمهم الله جميعاً .غادروا وهناك سبحانه وتعالى هو الذي يحاسب المذنب والبريء ،وكان ذلك في 1949/8/14 وبدأ عصر جديد ونشطت الأحزاب في تلك الفترة ، وكان المسيطر من هؤلاء الأحزاب حزب الشعب الذي يرأسه رشاد برمدا وحزب الشباب الذي يرأسه أكرم الحوراني وحاول الحناوي في انقلابه أن يعمل بالديمقراطية وحاولوا تشكيل مجلس تشريعي وكان زعيم الأخوان المسلمين مصطفى السباعي(من حمص) .

ولكن هناك السياسة هي السياسة ، والتابلاين مددت الخط ،وأصبحت الشركات الأمريكية في المنطقة شرعيين وتجذره شركة العراق في سوريا.

وكلهم يتحدث عن قصة فلسطين ،ولم تنته قصة فلسطين وقد مضى عليها سبعين سنة ، والآن نحن في قمة الصراع ولا ندري ونحن الذين عاصرنا النكبة والتابلاين ورودوس والتقد مع فرنسا ولا زلنا نكافح من أجل القضية الفلسطينية ولا ندري إلى أين نصل في هذا الصراع الدائم.

الحقيقة إذا نظرنا أن سكان حماه بيت البرازي من عائلة وطنية وكذلك العظم والكيلاني والشققة والزكار والسفاف وكل عائلات حماه الشيشكلي والحوراني وغيرها وسبحان الذي لا ينسى ، هم جميعاً وطنيون ومقاتلون من أجل وطنهم وقد عشت في هذه المدينة خمس سنوات دراسية وتعلمت من أساتذتها التضحية والإخلاص من أجل الوطن فلهم مني كل الاحترام والتقدير وقد غادروا يرحمهم الله.

وأنا أعود الآن مرة ثانية إلى مضافة المختار عبد الله حسيان مختار القرية وفي هذا الثلج الكثيف ، وكما أعطى أوامره قبل يوم ليبقى الشاعر شتيان في المضافة ولا نتركه أن يغادر في هذا الطقس العاصف المثلج والذئاب ترغب بأكل أي شيء في الطريق.

وكما أوصيت الفلاحين أن يأتوا الآن كل منهم ما أمكنه من الزرازير وعدد من الخبز وكان الخبز شعيراً مخلوط بالذرة الصفراء لأن الفرنسيين يصادرون القمح وقائد السرية والشيف كانا سيئين ،العقوبة تكون بإرسال الشيف...وكانوا يخافون كثيراً من الجنود الفرنسيين.

كانت تنقذهم زوجة مدير محطة القطار والمحطة تبعد 2 كم عن القرية وهي قريبة جداً .

وكانت تزور القرية وخاصة حينما يستنجدون بها من ظلم ذلك الضابط قائد السرية الفرنسية في قرية الطامة.

أقول هذا حقيقة لأن عمري كان آنذاك سبع سنوات واقرأ القرآن عند الشيخ سعدو.

والشيخ سعدو الآن قد سافر إلى خلفايا ولم يعودوا في هذا الثلج.

كان الفلاحون لا يصلون حين يذهب الشيخ سعدو لأنه هو الإمام وهم يصلون خلفه لكي لا يغضب عليهم وقبل الظهر بدأ الفلاحون يتواردون حينما سمعوا دقة المهباج يدق العسس دربكة الغجر حين ترقص الغجرية في ساحة القرية.

يجتمع الفلاحون كلهم ،وهناك أشكال لغلي القهوة ...الدلة التي يصب بها.

أما المختار فإنه يغلي الشاي ،الشاي الذي وصل حديثاً إلى القهوة ،كانت ( )التي يحوشونها من عند مجاري المياه ،وحينما اجتمعوا في المضافة طرح المختار الفكرة ... علينا أن نرسل مائة زرزور بين مقلي ومسلوق ومشوي إلى المدام في محطة القطار ونتذكرها في هذا الطقس العاصف ، لأننا نحن نستديمها عادة...وإذا تذكرناها الآن فستشعر أننا أكرمناها.

واتفقوا على ذلك بين مد وجزر ونادى المختار لرجل اسمه سلوم وقال سلوم بعربتك التي تجرها البغال خذ مائة زرزور بطنجرة كبيرة وطاسة من الزبدة وعلبة لبن إلى المدام فتشعر أننا تذكرناها ولم ننسها في هذا الطقس العاصف لأنها تساعدنا في أوقات الشدة...

ووقع أن يذهب مع سلوم ثلاثة أشخاص يحملون بنادق خوفاً من الذئاب أو الضباع واختير من الرجال أبو عمر ويوسف والعسس ويحملون الجفوت والعسس يحملون البنادق الحربية ،وفعلاً حينما

نهضوا قال سلوم: لكن إذا عزف أبو علي أغنيات جديدة يجب أن يعيدها لنا ...وبعد أن شربوا القهوة والشاي ذهبوا إلى المحطة...وراح شتيان يحمي ربابته على المنقل الذي تطبخ فيه القهوة...وشد وترها وقلفنه راح يغني نشيداً قائلاً:

مهرتي يم الوفا شدي على أرض الصفا

تزور النبي المصطفى رسول رب العالمين

سيفه البتار بيده اليمنى وبالشمال قرآن رب العالمين

وحد العربان ونظفهم ونظمهم وأطلقهم شمالاً ويمين

على خيولهم بسيوفهم ورماحهم حاملين القرآن الكريم

رسالة رب العالمين حطموا الروم والفرس وجعلوهم مسلمين

طحن كسرى وقيصر تحت سنابك خيل المسلمين

وصلوا الهند جنوباً وشمالاً واخترقوا سور الصين

هذا القرآن الكريم لكل البشر رسالة رب العالمين

يا مهرتي لا تجزعي أنت معي والله معي نزور مكة وقبر رسول رب العالمين

كان يعنيها وبدأ الفلاحون يرددونها ويطلبون إعادتها.

وصل سلوم المحطة مع العسس وأوقف العربة ونزل حاملاً الزرزازير إلى مديرة المحطة التي تتكلم العربية المكسرة ،ونزل هو والعسس يحملون اللبن والزبدة والزرازير.

فرحت فيهم المديرة كثيراً...إن الفلاحين يذكرونني وكم كانت تضحك وهي تستقبلهم فقالت لهم هذه هدية أفضل من كل هدايا البكوات القادمة من حلب وقد وصلني البارحة أكثر من أربع خراف مسلوخة ، وليس عندي براد كما وصلني عدة فراري وعبايات فأنا أهدي سلوم فروة والحارس عباية تقيه المطر ليلاً ،أما الخراف فأرسل إلى القرية ثلاثة خراف مسلوقة يوزعها سلوم والذين في القرية أعطوهم خروف مسلوق أيضاً أما الحلويات التي عندي فخذوا منها كما تريدون عدداً من صفات الراحة.

كانت المحطة دافئة ، زوجها وهي فقط في هذه المحطة واستقبلهم في ثوب شفاف وكان الحارس مبهوراً...لأول مرة يشاهد امرأة وزنودها مكشوفة حتى الكوع ،فشكروها على هذه الهدايا وقالت لهم : والله هديتكم أفضل من كل هدايا الإقطاعيين الذين يحكمونهم وأنا أشعر أن قائد سرية الفرنسيين

يزعجكم سأعمل جاهدة على كبحه ،وإذا لم يقبل سأعمل على نقله وتغييره..لا يعرف الفلاحون أين ترتبط مديرة المحطة ومع مديرات المحطات ،وقالت لهم الحافلة التي تأتي صباحاً من حلب تأتي بهدايا كثيرة وأنا أرسل أغلبها إلى دمشق وحمص وفي الليل يمر قطار الركاب وأنصحكم حينما تعودون الآن فالذئاب أمس طوقت المحطة وكانوا يعوون حولها وكنت أتفرج عليهم من الطابق الثاني ، الطابق الأول لقطار الركاب للقطار والحافلة والطابق الثاني للمدير وزوجته...ثم قالت لهم: إذا أراد أحدكم شرب الخمر فقد وصلني بيدون من الخمر من حلب فإذا أردتم أن تأخذوه فخذوه لكنهم قالوا بأن القرية لا يشرب فيها أحد الخمر..قالت أنا أحترم رجال الدين ..وشأنهم هم ألا يشربوا.

وعادوا إلى القرية ...وحذرتهم من الذئاب ،قالت لهم المحطة فيها ثلاثة أنواع من الشبابيك واحد ناعم للبرغش وشبك كبير ،وقالت من معكم في القرية فقالوا معنا أبو عمر ويوسف ،فقال : خذوا لكل واحد عباءة هدية وخروف وعدة صنفان من الحلويات ،قدموها هناك في مضافة المختار. والشاعر شيتان عندكم ولو كانت المضافة فيها خدمات لذهبت معكم أنا وزوجي لكن قطارات الشحن متواصلة نهاراً فلا نستطيع مغادرة المحطة.

وشكرتهم كثيراً أنهم تذكروها ،وهذه الزرازير أفضل من كل خواريف البيكوات وهداياهم.

وعادوا مسرعين حاملين الهدايا .وفعلاً اقتسموا خروفاً بين أربعة أشخاص.

وكل واحد أخذ صفت راحة...وربح كل منهم عباية وحينما وصولا أخذوا بقية الخرفان وعلب الراحة والحلويات هدايا لكل القرية.

قال سلوم لقد خجلنا من أنفسنا ...نحن نقدم لها زرازير وللبكوات خواريف مسلوقة وراحة وخمر وقال لهم هذه الهدية الصغيرة هي أهم من كل خواريف البيكوات في حلب ونحن نشكرها على إرسالها لنا هذه الخرفان وقال العسس : أنا انتبهت إلى أنها لبست قلشينا ، وقد لفتت انتباهي هي ولأول مرة أنا أرى كراعين امرأة بالنهار حتى زوجتي لم ار كراعينها.

شاعر الرباب صنع لهم أغنية

لبست قلشينا شلحت قلشينا

مديرة المحطة ما أجمل سيفانها

قال سلوم نحن نخاف أن يكلمها أحد وزوجها حاضر لذلك نحترمها كثيراً...لأن سعادته يرسل لها هدايا جدايا وخرفان والزوار دائماً سكرانين.

ثم عادوا بعد الغذاء يسمعون الأناشيد على الرباب ...ثم عادوا إلى بيوتهم يرتاحون يعودوا مرة أخرى مساءً ليستمعوا إلى الرباب وإلى قصص والروايات التي يحفظها شعراء الرباب أمثال أبو زيد الهلالي. راعي المجرا .وعند شداد وعلبة والزير سالم أبو ليلى ويدور الحارس حول القرية من الداخل وعند البوابة ويشدق السمع للذئاب أو الضباع.

كانت عشيرة البدو التي تخيم هنا شتاءً من عرب الطوقان الموالي ،وهم ينزلون مباشرة شمال القرية شرق سكة الحديد ويشتون في هذا الشتاء في هذه المنطقة ...

ويدخلون أغنامهم داخل بيوتهم ثم يأتون بالماء من بئر القرية وعندما يضعوها لتشرب الأغنام يضعونها بواسطة منديل من العلق ،حتى لا تصيب الأغنام .والفلاح يعمل جاهداً بالتصفية عن طريق المنديل .ويغسل المنديل خارج الدار. هذا ما كان من حالهم.وكم كان الفلاحون خجولين من مديرة المحطة .

ولكنها لا تعرف القرية وبقي شتيان على هذا السؤال حتى توقف الثلج وبدأ يذوب قليلاً ولم يتركوه يذهب وحيداً فكانوا يقطعوه على قرية وهكذا إلى مدينة السلمية وأغلب سكان السلمية ثم عشير البدو يربون قطعان أغنامهم...وفي الشتاء يضعونها في الدور خوفاً من الذئاب.

كانت الخيام متشابكة حتى لا يستطيع اللصوص اختراقها لأن الخيمة مسيجة بسياج من الشوك البلان مرصوص يمنع الهواء من الدخول والخيمة لا تتلف المياه... والعسس من هؤلاء البدو وكان رجلاً طيباً وعلى علاقة مع الشيخ سعدو لأن الشيخ سعدو يؤذن طهراً وفي المساء وخاصة في رمضان.

ليس هناك جامع في القرية ولكنهم يقيمون الأذان في قوس باب القرية الكبير.هكذا كان حال الفلاحين وأحياناً تكون أحاديثهم عن الثلج والصيد وحركة الذئاب وغاراتها ومتى ينتهي الثلج...أحياناً يستغرق وقتاً طويلاً وأحياناً يذوب ...والثلج لا يشكل سيولاً السيول يشكلها البرد في الخريف والربيع ،أما في الشتاء فالبرد قليل يكون الثلج أو المطر الغزير.

كانت القرى الملقوحة بين حلب وحماه ،وهذه القرية من توابع حماه وباقين فيها فترة طويلة حتى كانت الحرب العالمية الثانية.

لنعد الآن ونسير قفزة إلى الأمام إلى أيام الشيشكلي ،الشيشكلي استمر في الحكم أربع سنوات وعندما ألغى الأحزاب كلها شكل حزباً هو برئاسته سماه حركة تحرير أديب الشيشكلي. وكلمة تحرير يغير تحرير فلسطين ، ووضع دستور الحناوي...

ثبته في الــ1951....وجاء في المادة الثالثة حرية الأديان مصانة في الدستور.

وكان رئيس لجنة الدستور مصطفى السباعي زعيم الأخوان المسلمين ومعه رئيس الحزب أكرم الحوراني وعدد من الأحزاب المشتركة في البرلمان...ولكن الشيشكلي لم يكن رئيساً للجمهورية كان قائداً للجيش ولكنه كان مسيطراً على تقاليد الأمور.

كان الشيشكلي حين ينتهي من الدوام الرسمي في قصر الضيافة (منزله) يرتدي الكلابية الحموية فكأنه من قرى حماه...حاول الشيشكلي تنظيم الجيش وتطويره ، والحد من سيطرة الإقطاعيين ولكنه كان له مزاج خاص .

كان المحيطون به ليسوا كما يجب ،إذا هم مداحون ومنافقون له ،كان يحب الاستعراضات كثيراً ،وطلب من صديقه مجيب المرشد من سلمان أنه سيزور اللاذقية ،وعليه أن يحضر له استقبالاً فخماً وجميلاً ، ولأن الشيشكلي كان في الحزب القومي السوري وكذلك مجيب فقام مجيب وأمر عشيرته والعشائر الموالية له . إذا أتى الشيشكلي إلى اللاذقية يكون الاستقبال يليق به.

وفعلاً ذهب الشيكشلي وكان استقباله مبهراً وألقى كلمة في المدينة وحيا سكانها وأشاد بهم وبنضالهم ضد الفرنسيين وبنضال أهل حماه أيضاً ...ومن هناك عرج إلى حماة لكن كان الذي معه أحد وزرائه هو حسني البرازي ،وحسني يكره مجيب المرشد لأسباب شخصية فنصح الشيكلي إن هذا الاستقبال إذا أراد أن يتمرد عليك يحب المرشد يمكن أن يحدث انشقاقاً كبيراً في سوريا أو ينهيك وفكر الشيشكلي كثيراً وسال بعض المقربين أكثر فأيدوا كلام البرازي ،فشكل دورية من الشرطة العسكرية برئاسة ملازم أول ( ) ومن سيارتان دوشكندي إحداها فيها ست عناصر والأولى معه فيها أربع عناصر أن يذهبوا إلى القرية شطحا في الغاب والغاب تابع لمحافظة اللاذقية ،ووصلوا صباحاً إلى قرية شطحا ليسألوا عن مجيب المرشد الذي يسكن في هذه القرية ، وفي أولها من الجنوب شاهدوا مجموعة رجال أمام بيت من الحجر فوقفوا عنده وسألوه عندهم وسألوه عن بيت مجيب المرشد فنهض شاب وسيمن عمره 52 سنة وقال له وصلت أنا مجيب المرشد فلم يصدق الملازم الأول ذلك فطلب هويته فأعطاه الهوية

ونظر فيها فعلاً هو مجيب المرشد ماذا يعمل أما هذا الشاب الذي لم يكن كما كان يتصور لكن الأمر هو الأمر فقلب مسدسه الرشاش فخر صريعاً ونهض الرجال ليدافعوا فأطلق عليهم عدة طلقات فخرج ستة وقتل اثنين ورمى جثته في صندوق السيارة وكان ذلك في سنة 1952...كان غدراً ،أصيب هذا الشاب الذي نظم له ذلك الاستقبال الرهيب ،ثم عادوا على نفس الطريق.

لم تكن هناك سيارات للحاق بهم ولا الخيول قادرة أن تلحق بهم ،فوصلوا إلى قرية نقرو وهناك كانت بحيرة صغيرة (الجراخى) فأنزلوه من السيارة على كومة من القش وحطوا عليها البنزين وحرقوها ورموها في هذه البركة.

وأصبح هذا المكان مقدساً لدى عشائر المرشدية وكان غدراً منظماً.

وحزن الشيشكلي وقال ارتكبنا خطأً كبيراً وعندما أصبح رئيساً للجمهورية اصدر مرسوماً بإلحاق مصياف وقراها بمحافظة حماه . وبذلك غدت القرية من قرى حماه وأصبح الغاب بكامله من قرى حماه وكانت تابعة للاذقية.

وحتى الآن مازالت القرى تابعة لحماه بما فيها مصياف والغاب.

لا شك أن الشيشكلي حقيقة اشتد صراع بينه وبين الأحزاب التي حلها وبقي وأنشأ برلماناً يأتمر بأمرته وكان رئيس البرلمان من دير الزور .ولكن كل شيء يبدو قوياً ثم يتلاشى ،وهناك كثيرون يتحدثون عنه بالسوء ولكنه ليس كما يعتقدون.

كان جيداً ورجلاً طيباً وبسيطاً وفي هذا الزمن 1952 ومن ال1951 حصلت أنا على الشهادة الإعدادية وقدمت لأن أكون معلماً وقدمت مقابلة وأنا أقل من 18 فقضيت سنة دراسية وقبلت كمعلم في دير الزور ...وكان المتقدمون عددهم تسعين معلماً فكان ترتيبي الخامس بينهم فصيفت في دير الزور.

وقد التقت ألأحزاب وكنا ننتمي إلى العربي الاشتراكي وذهبت إلى الأستاذ علي علي ...وقد ذكرت ذلك وأكرره الآن .

أنا ذاهب إلى دير الزور معلم ابتدائي فإذا كان هناك أحد يعرف مدير المعارف وكان مدير المعارف رحمه الله رئيس فرع العربي الاشتراكي في دير الزور فأعطاني ورقة صغيرة إليه وحينما وصلت إلى دير الزور عن طريق حلب.

لم يوجد فندق حتى ننام فنمت عند أحد إفراد الشرطة وكان يعرف أهلي وتآنست به وفي الصباح ذهبنا إلى مديرية المعارف ويبدو أن المدير قد أصبح رئيس حركة التحرير الشيشكلي فأعطيته الورقة وتبسم ووضعها في جيبه واصدر أمر تعييني في قرية مع الخابور اسمها الحريجبة وهي من عشائر البدو .

وذهبت إليها على دراجة نارية وذكرت ذلك مفصلاً في روايات سابقة وفي تاريخ حياتي والإعدام.

وفي 1954/2/13 أتت دورية شرطة عسكرية إلى قرية السور التي نقلت إليها وأخذتني مع أحد المعلمين صالح محمد أمين وكان أقصر مني وأنحف ولا ندري لماذا وصلت إلى هناك ودخلت إلى مكتب قائد الشرطة العسكرية .

ولكنه استقبلني ومددت يدي فصفعني كفاً على وجهي وفتلت بهذا الكف ودفشت المعلم إلى الخلف وقال أنزلوهم إلى الأسفل فنمنا ليلة على الأرض بسجن الشرطة العسكرية.

وفي الصباح الباكر قالوا لنا غادر الشيشكلي سوريا وحصل انقلاب عليه.

تركت كل التفصيلات بكلية الشيشكلي وغدر بأديب الشيشكلي بعد 13 سنة من قبل رجل غدراً على مدينة البرازيل رحم الله الشيشكلي.

كان رجلاً ومقاتلاً وحريصاً على الشعب السوري فلم يقبل باقتتال الجيش وغادر سورية طواعية.

عندما كنا في المحمدية الشرعية عام 1946-1947 في المجرسة حصلنا على السرتفيكا ،وكنا وصلنا إلى قرية أخرى في حماه تبعد حوالي خمسة عشر كيلومتر. وعندما يصحو الطقس ربيعاً أو خريفاً تغلق المدرسة الساعة 2 فنذهب للقرية ركضاً ،وفي الصباح نستيقظ ونذهب مشياً ،وابن عمي يخاف علينا من الحيوانات فيرافقنا أبي أو ابن عمي.

في هذه الفترة جاء قحط شديد ،وتوقف المنظر فلم تكن هناك محاصيل حتى الأغنام بدأت تفطس. وكنا مدينين إلى صاحب الخان ولن أذكر اسمه وقد رحل إلى رحمه الله.

وهذا القرض لم نستطيع أن نوفيه ،والكفيل هو صاحب القرية ،والبدوي ليس عنده ما يخسره إذا مس كرامته أحد وكان حريصاً عليها ، فاقترح أن يزوج إحدى بناتنا إلى أحد الفلاحين في القرية ،وذلك الفلاح يدفع ديوننا وهنا ثارت ثائرة العائلة ،فضرب عمي صاحب الخان بيده ،ونحن عندما سلاح فخاف البيك من تطور المشكلة ،فاتصل البيك وقائد الشرطة الذي كان ملازماً أول وهو محمد علي إسماعيل من ريف طرطوس وروى له ما جرى فقال أنا أعرف هذه العائلة من القدم وأهلي يعرفونهم جيداً ،قد يرتكبون جرماً كبيراً إذا مس كرامتهم أحد فقال له صاحب القرية . إذن رحلوهم من عندي.

وكان رجلاً طيباً من بيت العظم وحريصاً على شرف أهل القرية وعرف أننا راحلون فهرب أبي العربات التي تجرها الخيول والبغال وبعض البقرات إلى منطقة غرب حماه. وعندما أتى الكميونات من الشرطة جمعوا العائلة كلها وحملنا كل متاعنا وأركبونا فوق هذا المتاع حتى أخذنا الكلب معنا ، ومشى كميون أمامنا على محور ترابي من هذه الرقية إلى قرية المبطن ومن المبطن إلى كوكب ثم معان وعبر وادي الدورات إلى قرية الطامنة ثم قرية الجبين ثم صعدنا هضبة في قرية السقيلبية وعند قرية عمورية أوصلونا إلى قرية حورات عمورين التي تقع رشق العاصي والحورات غربه تابعه للاذقية.

أنزلونا بجانب العاصي ورأته النسوة للمرة الألف ،والغبار يزعجنا وأنزلونا نحن ومتاعنا وكنا سبعة عشر فرداً ومعنا شابان 28 و26 . كان الوضع صعباً فقد أتى أهل القرية بمراكب صغيرة ونقلوها إلى غرب العاصي فتخلص منا الإقطاعيين وغدونا في محافظة اللاذقية.

لم نعتد على السكن في منطقة مزرعية لأن البرغش والناموس يجتاح الناس وخاصة الملارنا وكان الفلاحون حينما ينامون يسمونها (ناموسية) وهي من القماش الرقيق لا يسمح للناموس بدخولها.

نحن لا نحمل ناموسيات ،وفجأة أخذونا إلى جنوب مصياف ريثما يجهزون أ،فسهم للسكن هناك وبقينا في (الشميسة) وفيها بستان تين ولا يوجد برغش ، فذهبنا مشياً لأنها قريبة ونحن معنا عشرة أطفال.

ذكرت هذا الحديث في إحدى رواياتي الوثائقية وأعيده الآن كما يقال تذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين.

وثمر عدة سنوات وها أنا معلم مع البدو لمدة سنتين ،وفي عام 1954 يهمنا لخدمة العلم ،لكن في 1952 كنا في إجازة في القرية أخبرونا أن قائد القوى الجوية محمد ناصر قد اغتيل في دمشق ولا يعرفون أين تماماً ،قيل وهو قادم من الربوة إلى دمشق ولم يكتشف الفاعل...وفي عام 1954 يهمنا لخدمة العلم في 1954/10/19 وأمضينا في مدرسة الرقباء تسعة أشهر دورة رقيب مجند وكان مسؤولاً عن التدريب العقيد عدنان المالكي وفي 1955/5/22 أنزلونا من السكة لنتفرج على لعبة كرة القدم ونحن لا نزور الشام إلا يوم الجمعة.

ذهبت إلى شارع الحميدية وأخبرت رقاشي بذلك ،وفي أثناء المباراة اغتيل عدنان المالكي من مساعد وانتحر هذا المساعد ،وفي اليوم الثاني وتوقفت اللعبة وعدنا بالسيارات إلى قطنا ،ثم أنزلوا سرية لتسير في نفس المالكي ودفن في مقبرة زين العابدين في المهاجرين.

لم يكن هناك شارع اسمه شارع عدنان المالكي وكانت كلها بساتين ،أظن أن الغدر صار مشكلة في سوريا...وحدثونا أن جديد قتل في بيروت غدراً وهو يسير في الشارع ،واستغل حزب العربي الاشتراكي لينتقم من القوميين السوريين.

كان هذا الغدر المتواصل لأنه لم يكن هناك غدر بين الناس فاعتبروها حالة شاذة بين المسؤولين.

كنت لا أستطيع أن أعرف أن أنساناً يقتل إنساناً وقد لا يعرفه قد حرضه بعض البشر.

أنا أعرف أنا عندما ذهبنا إلى الجبهة أن العدو يطلق النار على الجيش السوري وقد قتل في معركة طبرية وقبلها ب40 يوم المرحوم أشرف حمدي وكنت رقيباً في هذه السرية ،ثم في كانوا الثاني بدأت معركة طبرية وكنا على نهر الشريعة...

ذكرت كل هذا في وثائق سابقة...

وقتل في ذلك اليوم الملازم ممدوح قرة جولي ومحمد الصفدي وعدد كبير...

وقتل من فوجنا في مخفر الحاصل حوالي سرية وقتل كثير من المجندين والجنود في السرايا وقتل عدد كثير من المجندين والجنود في السرايا القرية من بحيرة طربية سكوفيا والدوغا وخاصة قائد السرايا.

هذا مشروع أن يكون قتال بين ال والسوريين وأن يكون بين أطراف متنازعة ولكن ليس عذراً.الغدر من صفة الجبناء.

بعد أن آلت السلفة ألى العباسيين وهرب جيش الشام مع مروان بن محمد خليفة المسلمين ولكن العباسيين تابعوا هروبه واستعصى على الزات من أتباع محمد بن مروان جيشاً بقيادة بين هبيرة وهو (زين عشيرة مشهور) وهو ماكر وخداع وكان قد كلف السفاح أخاه أبا جعفر بقيادة الجيش وهزم مروان في معركة الزاب.

لا أعيش في القتال ومن قتل...

النصر ليس لأبي هريرة ،فجعل الوسطاء بينهما وكتب له كتاباً خطياً أنه سيكون والياً على خراسان وكل من معه آمن على حياته وعائلته ،وصادق هذا الكتاب السفاح أمير المؤمنين ،ولكن كان السفاح يستشير أبا مسلم الخراساني في كل أمر ،فاستشاره هنا وكان الجواب قصيراً جداً حيث قال: الطريق السهلة إذا رمي بينها الحجارة الكثير لن تمشي الخيول عليها وإني أرى أنه لن يكون هناك طريق سهل بوجود ابن هبيرة والسلام عليكم فأرسل هذا الجواب السفاح إلى أبي جعفر المنصور وكان أبي هريرة قد استسلم فدعاه أبو جعفر المنصور لزيارته وتكريمه ولكنه قد وضع خطة وعندما وصل فانقضوا عليه وعلى مرافقيه وأعدموهم جميعاً ،ولم يلق مداد حبر الكتاب الذي معه.

وزع على أتباعه يخيرهم بين الالتحاق وبين المغادرة وهكذا غدر بابن أبي هريرة ...وقد يسقي اسم سيشرب منه فيما بعد فتمرد أبو مسلم الخراساني على أبي جعفر المنصور وخاصة في الخلافة .

توفي السفاح العباس أبا الجدري وهو في سن السابغة والثلاثين وولى أخيه أبي جعفر الخلافة ،وكان أبو جعفر أصغر بسنتين ومن أم مختلفة ولا أدري إذا كان اسم أمه (قطة) وهي بنت أو الزعماء اليمنين وكانت امرأة قوية ومتعصبة لذلك فقد ساندت هذه القبيلة أبا جعفر المنصور. وزعم هذه القبيلة كان عنده بنت جميلة اسمها (الخيزران) فتزوجها أبو جعفر المنصور كان هناك توسطات بين أبي جعفر وأبي مسلم وأبي مسلم شك بأن المنصور وسينتهي أبو مسلم إذا استطاع لأنه ولاه الشام. لإبعاده عن

حقيقة أن أبي مسلم ساهم في توطيد دعائم الخلافة العباسية وكان في صغره عبداً ومولى للعباس اشتراه وعندما كبر شعر معلمه أ، هذا الرجل ماكر جداً وصاحب بديهة وشجاع فأرسله إلى خراسان ليدعو للعباسية سراً وكان مركز الدعوة في البلقاء في قرية (حميمية) وتشكلت قيادة للعمل السري.

كان الخراساني نشيطاً وسيطر على تلك المنطقة ،ويقال إنه قتل من الخصوم حوالي ستمائة ألف إنسان ،وكانوا يقارنونه بالحجاج الذي قتل الكثير من خصوم المروانيين...

وأغلب القتلى كان غدراً وخاصة في تلك الإمارات المفطربه لا تعرف إلا والسبي

لأن في تلك الفترة كانت تباع الناس كالمواشي وخاصة النساء. وعندما سيطر العباسيون على الشام هرب مروان بن محمد إلى مصر فكلف الأمير عبد االه بتشكيل قوة وملاحقته إلى مصر...وتابعه حتى قرية بنوصور وهناك قتل مروان بن محمد.

سيطر العباسيون على الخلافة الإسلامية بكاملها لكن بقيت شوكة أمامهم هي الأندلس تابعة للأمويين.

لنعد إلى الخراساني فقد نجحت الوسائط في أن يزور الخلافة وهذا التمرد لا يفيده شيئاً وبعد مفاوضات والتهديديات وطمنه أصدقاؤه وخاصة ابن عم أبو جعفر المنصور الأمير عيسى فقال لأبي جعفر إن المنصور يحترمك فزره واعتذر عما بدر منك وهو قبل كل اعتذاراتك.

وقرر أبو مسلم أن المنصور سوف يوليه خراسان وملحقاتها. وهذا الخراساني يطمع في أن تعود الإمبراطورية الفارسية لأن إسلام الفرس كان هشاً ويعتبرون أن الملك هو هبة من الله وكان كسرى ،ولذلك يجب أن يكون ولي العهد هو ابن الملك...

وقيل إن الخلافة يجب أن تكون في بني هاشم لذلك ساندوا أبا مسلم وكان يطمح لأن يعود كسرى ويتمرد على الإسلام.

وبعد هذه المفاوضات اقتنع أنه لا يمكن أن يعود الفرس كما كانوا عبدة النار.

يجب أن تكون الإعادة من داخل الإسلام ولكن المفاوضات أقنعته بأنه يجب تسوية الأمور مع أبي جعفر وسأل وشاور أصدقاءه فأشارت عليه أمه ،إذا ذهبت إلى أبي جعفر فاقتله فوراً وأنصحك ألا تذهب ،لكنه أصر على الذهاب ،وقال الشعر هنا:

وإذا المنية أشبت أظفارها الغى

فذهب إلى أبي جعفر وكان بالمدائن.

ذكر البعض أنه في بغداد لكنه لم يكن تدعم بغداد واستقبله الأمراء والأقرباء .وخاصة ابن عمه عيسى بن محمد وطمأنه واستقبله المنصور استقبالاً جميلاً وأجلسه بجانبه ولم يعاتبه إلا عتاباً رقيقاً وقال له اليوم ترتاح وتستحم وتفكر في طلباتك وغداً نلتقي صباحاً افطر أنا وأنت وبعد الفطور تتولى ولاية خراسان والهند والسند حتى سور الصين.

فرح أبو مسلم جداً لأنه لم يظهر على وجه المنصور إي إزعاج منه...وفي الليل كان أبو جعفر المنصور قد جهز بعض أقرانه ومواليه في الصباح وقال لهم عندما ألتقي أنا وأبو مسلم واسلم عليه وأعاتبه وقبل أن أجلس على طاولة الطعام أصفق بيدي فيظن هو أن الطعام قادم فادخلوا فورا وقطعوه ومزقوه.

وعندما دخلوا فلم يلحق أن يمسك قبضة سيفه حتى ضربه أحد الموالي على يده فقال يا أمير المؤمنين دعني لأعدائك فقال ويلي أنت أكبر أعدائي ولا عدو لي غيرك فقتلوه وقطعوه ولفوه في عباءته.

وكل عيسى بن محمد الذي أمنته...وقال له أين أبو مسلم الخراساني ،لقد أمنته على حياته البارحة قال إنه ملفوف في عباءته فدمعت عيناه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون.

نظر إليه أبو جعفر وقال اخرج من وجهي وإلا ألحقتك به .ومات عيسى مسجوناً فيما بعد ثم أن القوة التي كان مجهزها قضن على مرافقي أبو مسلم الخراساني بكاملها.

ويقال إن جثة أبي مسلم رمت بنهر دجلة ولم يترك له أثراً لا بتراً ولا شي فرماه في نهر دجلة وقال لتتعلم الأسماك الغدر من أبي مسلم الخراساني الذي كان يتقل على الشبهة والشك وهو من دعائم الخلافة العباسية ومؤسسيها وبذلك قال أبو جعفر المنصور لقد قال معاوية إن الكرسي السلطة تدافع عن نفسها ليس لها صديق ولا أخ ولا قريب.

وكان الشيخ حسن البنا متواضعاً وكان معلم مدرسة مواليد 1800 وعندما انتهت الخلافة الإسلامية كان يرجون الخديوي توفيق خلافة مصر.

لكن الخديوي كان خائفاً من الانكليز الذين احتلوا مصر وتحموا بها..والشيخ البنا أسس حركة الإخوان المسلمين 1916 ثم ذهب للصعيد وعلم في قراها ونشر دعوته هناك واستقبلت باحترام لكن الخديوي رفض فكرة الخلافة ،فشار على الحاكم الانكليزي ما راية أن تكون الخلافة في مصر فرفض الانكليز ولكن قالوا إننا نحول مصر إلى مملكة فتكون أنت ولكن ملكاً عليها ،واختاروه ملكاً فسمي بالملك فؤاد الأول وعمره فوق الستين ،ولم يكن لديه وصي على الفرس لأن لديه ثلاث بنات والكبيرة فوزية تزوجها شاه إيران محمد رضا بهلوي وحينما أصبح ملكاً كان يتمنى أن يكون لديه ولد فتزوج من امرأة مصرية اسمها نازلي وأعطاها لقب ملكة مصر وبعد أن أسس البنا الإخوان المسلمين وصارت قوية فسمي كتابتها كتائب محمد صلى الله عليه وسلم وبدأت دعوته تنتشر في كل أنحاء مصر حتى كان يوم عيد الملك فاروق الذي كان مستهتراً وهو من مواليد 1919 فعندما توفي الملك فؤاد الأول كان يحتاج لسنة أو سنتين فعينوا عليه وصياً الأمير محمد علي الصغير وهو من أولاد أخيه لمحمد علي الباشا وأظن أ،ه كان يحكم بأن يكون هو الملك لأن فؤاد لم يكن لديه أولاً ذكور وتسلم فاروق الذي تربى في بريطانيا ،وتربية أبناء الملوك الدولة تبدأ قوية ...كان الملك فاروق مستهتراً ويرغب بالزواج من جيهان صفوف رؤوف لأن أمها من أصل انكليزي وهي من مالطة وكانت سكرتيرة الملك فؤاد ،وأظن أن الملك فؤاد كان له علاقة مع هذه السكرتيرة فولدت هذه البنت جيهان ووقفت أم الملك فاروق نازلي ضد الملك فاروق أ، ينظر على جيهان أو يتزوجها وكانت تعتقد أنها أخته.

وكان أنور السادات بالحرس الملكي (الحرس الحديدي) وكانت عندي صورة يجلس الملك فاروق وبجانبه رئيس الوزراء ولم أذكر إن كان النحاس أو غيره وبجانب الملك نازلي وأن نازلي فكانت جيهان تقف وراء أمها بهذه الصورة والتفتت الملكة نازلي إلى السادات والملك فاروق أن الملكة ترغب بزواج السادات من جيهان...وكان السادات برتبة يوزباشي وابتسم الملك فاروق لهذا الأمر ونقل الخبر إلى والدها فوافق على الزواج ،وتزوجت أنور السادات الذي كان متزوجاً ،وعنده ثلاث بنات ،وبهذا الزواج حسمت الأمور مع الملك فاروق والملك فاروق كان متزوجاً وعنده ثلاث بنات و سمي الملك فاروق با

وبناته فوزي وفايزة وفريال...هكذا كانت الأسرة والملك فاروق بعد هؤلاء البنات رزق مولد سماه أحمد (اسمه فؤاد الثاني) لأنه حتى زوجته الملكة سماها (فايزة)

لنعد على حسن البنا فقد اغتيل الملك فاروق حسن البنا في اليوم الثاني من عيد ميلاده.

قرأت هذه القصة في مجلة أخر ساعة وأنا في الصف السابع من ثانوية ابن رشد.

لا أذكر التاريخ الدقيق لاغتيال البنا ولكنه اغتيل بعد 1940 واغتيل غدراً وهو في منزله حينما فتح الباب أطلق عليه النار من مسدس كاتم للصوت وأردي قتيلاً.

وحزن الشعب المصري على الشيخ حسن البنا هذا المعلم الذي علم أجيالاً وأجيالاً .

ولنعد إلى التاريخ القديم إلى العصر العباسي وعصر أبي جعفر المنصور وزوجة الخيرزان اليمنية بنت أحد شيوخ القبائل والتي سيطر بقبيلتها العباسي على اليمن وكانت امرأة قوية.

ثلاث نساء قويات :هند بنت عتبة أم معاوية،وبنت أخيها أم خالد ( )

هند زوجة أبي سفيان قائد معارضة الرسول . ،أم خالد بعد وفاة يزيد وتولي مروان تزويجها ووعد ابنها بالوصاية ،وغدرت به.

والخيزران زوجة المنصور الذي سيطر بعد مقتل مروان محمد .والمنصور اختار موقع بغداد ونقل الخلافة بعد أن عمر فيها إلى بغداد وغدت مقر الخلافة الإسلامية بدل الشام.

كانت الخيزران ابنها الهادي هو وصي على عرش الخلافة من بعد الجعفر المنصور وكان أبو جعفر قد مهد لذلك بعد أن قضى على الذين كانوا يتأملون أن يكونوت خلفاء من قادرة جيوشه ومن أبناء عمومته وأبو جعفر خلق في البلقاء حرية حميمة أو (حميمية) ،وكان له أخوة تسعة عشر ،وهم من عدة نساء .

وهؤلاء الذين من أحفاد العباس الذي أعطاهم معاوية هذه القرية في هذا السهل الواسع وكان أبوهم اسمه العباس وهو من أحفاد العباس بن عبد المطلب .

وكان يهتم به معاوية لأنه كان رجلاً جميلاً ضخماً وشاعراً وفارساً وحكيماً ،وبدؤوا بالاستخدامات السرية منذ أن مرت مائة سنة من الهجرة على خلافة الأمويين والمروانيين ،وخلال ذلك أسسوا الخلافة العباسية ومنهم أبو جعفر المنصور وأبناء عمومتهم....وهاهي آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور واسمه عبد الله وزوجته الخيزران وصفى خصومه كافة الراغبين بالخلافة.

وأوصى بالخلافة إلى ابنه الهادي بعد أن انتهى من ابي مسلم وابن هبيرة وابن عمه عيسى من موسى الذي كان أحد القادة الذين هاجموا الشام.

وتوفي أبو جعفر المنصور واستسلم الخلافة هادي .

كان الهادي صعباً يريد أن يحكم البلاد حكماً قاسياً وكانت أمه الخيزران تنصحه ولكنه لا يقبل كما أن أمه كانت ترغب أ، يشاورها في قضايا الخلافة ولكنه لم يشاورها فبدت تستقبل بعض قادته وأعوانه في منزلها ،فثارت ثائرته عليها.كان غيوراً إنك أمي ولن اقبل أحد قادة جيوش تستقبلينه في المنزل ولكنها رفضت.

ترك لها مقر أبي جعفر تبقي فيه وكانت تستقبل شعراء أيضاً ،وكان ذلك مما يثير حفيظته عليها.

فبدأ يحقد على أمه وكبر حقده عليها وشعرت هي بذلك فأرادت أ، تتخلص منه ويتولى أخوه المهدي بدلاً عنه.

ترك لها الهادي فراها وأملاكها وجورايها ولكنه لم يقبل أن تتدخل بشؤون الخلافة وشعرت بأنه رغب في التخلص منها سواء بالقتل أو السم أو غير ذلك ،لذلك بادرت هي بأن اختارت أجمل جواريها وأرسلتها إليه وعلمتها كيف تضع السم في طعامه وزودتها بقارورة سامة ،وهكذا قضت الخيزران وقتلت ابنها الهادي. ومن بعده جاء المهدي...

كم كانت حزينة هي على الهادي أنها قتلت ابنها ،وهل تقتل المرأة ابنها من أجل الحكم...لكنه الكرسي.

الصراع على الكرسي والنقود يقتل الأب ابنه ويقتل الابن أباه.

وكثيراً من الخلفاء العباسيين من قتل أباه أو أخاه ليتول الخلافة من بعده ،رغم أن عددهم 37 خليفة ،وحكم الخليفة 22 سنة ...منهم من حكم 50 سنة ومنهم شهر واحد .ولكنهم انتهوا نهاية مأساوية.

احتل بغداد هولاكو وكان هولاكو أسوأ من الذي قبله جنبكيزفان وهو حفيده واعتقل الخليفة ،ثم قتله.

وهكذا انتهت الخلافة العباسية هنا عام 575 هـ وبذلك أمضت حوالي 524 عاماً والأمويين والمروانية 132 سنة كان آخر خليفة هو المستعصم بالله.

وانتهت الخلافة على يد هولاكو ومدر بغداد واجتاح الشام.

وظهرت منافسة لها الخلافة الفاطمية في مصر. لن أبحث بها الآن ،كان الوقت جميلاً وربيعياً في عام 1949 ،وكانت الانقلابات المتوالية في تلك السنة ثلاث انقلابات ومع ذلك رغم المظاهرات والاضطرابات كنت قد علقت على الرسم وكنت آخذ القرآن الكريم وأرسم غلاف الصفحة على ورق أبيض ثم أبيعه في السوق لمن يريد وضعه على صورته وكنت أحصل عللا ربع ليرة سورية على الغلاف الواحد . وشجعني بائع البراويز على الرسم وكانت هذه الربع ليرة تفيدني مثيراً أما في شراء مجلة أو قلم رصاص أو حبر وكنت أبيع وسطياً بروازين في الشهر وهذا يكفي خرجيتي في المدرسة.

كان الوضع صعباً جداً في تلك السنوات وكان أخوتي الصغار وبيني وبينهم فارق في العمر فالذي بعدي عمره سبع سنوات وكانوا في المدراس الابتدائية.

وتحسن وضعي في التعليم الكفاءة مع البدو في دير الزور.

حين أنظر على الغدر بين الملوك والخلفاء والمماليك كيف قتلت أو قتلت شجرة الدر زوجها في الحمام أيضاً .حتى النساء كن يغدرن بأبنائهن و أزواجهن..

يبدو أن عندما يسيطر الشر على الإنسان يعمي قلبه . وعندما تعمى البصيرة ويضطرب البصر لا يميز الإنسان بين الجاموس والبقر . ويصبح الإنسان مثله مثل الذئاب الغادرة.

سجلنا أغلب هذه الأبحاث بقالب رواية قيل عن قال ووثائق كتبت وكتبها المؤرخون...وهؤلاء المؤرخون قالوا قيل عن قال مثل ابن كثير وغيره وأيضاً قيل عن قال حتى يصلوه إلى عشر روايات منقولة.

وكان عد البشر قليلاً وكانت الأوبئة تحصد البشر حصداً دون دواء حتى سكان مصر كانوا عشر ملايين إنسان أيام محمد علي باشا ،وكانت تسمى مصر هبة النيل ،وهناك نظرية جدلية هل مصر تابعة للشام أم العكس ،وبالخلافة الأموية كانت مصر تابعة للشام ،وعندما قويت مصر حصل العكس ،وكان نهر النيل الذي ينبع من بحيرة فكتوريا وهضبة الحبشة ،وساحة البحيرة 55000كم2 ويحدها من العرب دولتان راوندا وغولاندي ومن الشمال الغربي أوغندا ومن الجنوب الشرقي تنزانيا ومن الشمال الشرقي كينيا والحبشة وينبع منها نهر النيل العظيم الذي تستفيد من مياهه هذه الدول الثمانية إضافة إلى الدول الستة مصر والسودان من غرب هذه المنطقة جبال الكونغو العالية التي ينبع منها نهر الكونغو الكبير ويسير غرباً نحو المحيط الأطلسي بينما يتجه النيل شمالاً نحو البحر المتوسط 6000 كم أطول نهر في العالم . أما في الغزارة فيليه الأمازون في أمريكا والثاني طولاً هو الميسيسيبي في أمريكيا الشمالية.

نهر النيل نهر عظيم تعيش على ضفتيه أقوام متعددة ولها لغتها الخاصة بها ومذاهبها قبل الإسلام لآلاف السنين حين تكونت الكرة الأرضية.

مر على نهر النيل أقوام كثيرون ولم يغير من مجراه أحد.فغزارته والسكان على مجراه يتقاسمون مياهه وفق عددهم وحصة مصر هي الأكثر في أثناء الفيضان تصل حصته إلى 55مليار م3 وفي عام الجفاف تصل إلى حوالي 45 مليار م3 وهكذا وهذه الدول الثمانية هذه التي تتقاسم مياهه في القرن العشرين أوفي بداية القرن السابع عشر شكلوا له إدارة ،وخاصة حينما خضعت السودان للإسلام وانتشر الإسلام في أفريقيا وبدأت قبائل المسلمين تنشر هذا الدين الجديد شرقاً وغرباً في أفريقيا الصومال ومدغشقر واريترية.

لكنهم يتنازعون الرعي ،وهم لا يفهمون اللغة العربية التي لا يستطيع الإنسان أن يترجم القرآن الكريم مهما كانت اللغة الجديدة.

لكنه يكتب بالعربية ويشرح شرحاً باللغة الأخرى ليتفهمها بعض الأقوام في آسيا وإفريقيا.

انتشر الإسلام وبدأ يغزو أوربا أيام الحكم العثماني وأسلم أغلب سكان يوغوسلافيا وفي ألبانيا ،لكن الخلافة العثمانية بدأت قوية ثم بدأت بالتراجع وعزا الفرنسيين مصر،

ومرة انقطعت الخلافة العباسية حين قتل هولاكو الخليفة فبقي المسلمون دون خلافة حتى غادر هولاكو المنطقة العربية فأعيدت الخلافة العباسية في عام 1516 عندما استولى الأتراك على الخلافة ،وغدا الخليفة الأول السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق.

حينما سقطت مصر بيد العثمانيين ،ثم ضعفت الخلاف في نهايتها فغزاها الانكليز والفرنسيون باسم الأماكن المقدسة ،ووصلت الحملة الفرنسية إلى مصر بعد الثورة الفرنسية وأرسل السلطان الخليفة إلى مصر جيشاً لتحريرها وكان أغلب هذا الجيش من مسلمي البلقان والألبان الأرناؤوط.

وكان في الجيش شاب وقوي وله تطلع نحو السلطة فكان في الجيش الألباني (محمد علي) وعندما برزت موهبته القائد التركي رفعه إلى السلطان وخاصة في عام 1807 مع الفرنسيين (برانيرر) فأعطاه السلطان لقب باشا ولاه مصر.

عندما تولى محمد علي واجه في مصر أعداداً هائلة من المماليك الذي ن يتحكمون بالأرض المصرية.

يبدو أن المماليك حكموا مصر فترة بعد صلاح الدين الأيوبي وأبنائه...واستولوا على مصر بعد معركة عين جالوت وكان المماليك سريعين ففي عين جالوت قتل المملوك قائد المعركة قطز، وبعد أن حكم بيبرس المنطقة واستمر فترة طويلة ،قتله معاونه قلمون وكان نائباً له ،وقلمون أيضاً قتله من جاء بعده ،وهكذا قتلوا بعضهم حتى نساؤهم.

شجرة الدر قتلت إحدى النسوة وإحدى الرجال ثم قتلت هي لكن أبناءهم كثيرون في مصر.

فصار كل مملوك يتحكم في مناطقه وقطاعاته وأصبح عددهم بالمئات ،وبدأ يشعر السلطان بخطرهم ،وقسم منهم يراسل الأجانب.

فولى محمد علي باشا عليهم وحرضه عليهم سراً وكل إنسان يكبر يكون له أعداء وحساد فكان والي الشام يبذل جهداً ويحرض السلطان على محمد علي باشا...ومحمد علي عندما أصبح والي مصر كان عليه أن يسيطر على مصر .

هكذا كان يفكر كيف استطاع عمرو بن العاص أن يسيطر على مصر والسودان فلن يفكر إن هذا قريب من السلطة أو قريب من الأنبياء ومما لا يغير لصاحب السلطة شيء.

ندرس تاريخ معاوية وتاريخ أبو جعفر المنصوري والخراساني..

كيف تمكن هؤلاء القادة من إحداث انقلابات على بعضهم ليبقى منهم واحد فقط.

بدأ محمد علي باشا يغزي المماليك ويقرب بعضهم ثم راح يفكر أن هؤلاء المماليك يتفقون معه ثم ينقضون الاتفاق ،وشعر أنهم يتصلون بالانكليز والفرنسيين ويتصل بهم والي دمشق عرضهم عليه ،ودرس تاريخ النيل وحتى يفيض آخر الصيف أو الربيع ،حتى أن الأراضي تكون موحلة لا تقلع فيها الخيول وكان عند المماليك فرسان يتمردون عليه أشد من فرسانه وكان ابنه طوسون وإبراهيم شباناً ،وقد شكل جيشاً وولاهم القيادة لعدة اتجاهات ،وقرب البعض وأعطاهم أراضي ووعدهم...وبقي من يحاول مناوءته وخاصة في الفيوم والهوارة غرب القاهرة .ولكن كان صبوراً ،وعنده أربعة قواد للأركان.واتخذ مقراً لقيادته القلعة المبنية من زمن ولها أبواب كثر..

وفي الغرب هناك باب تحيط به صخور عالية وعند منطقة الغربي الذي له باب كبير ،وكل ما كتبه المؤرخون لم يصل إلى وصف القلعة بدقة .

فالسلطان أعطى أمراً كما قيل أن يرسلوا جيشاً إلى الحجاز ليقضي على المذهب الوهابي ويبدو أن في الحجاز ظهرت تيارات دينية ضد الباب العالي فأمر بالقضاء عليهم.

فأرسل جيشاً برئاسة طوسون وكان أن حضر هذا الجيش ،وعندما يخرج الجيش باحتفال كبير ومهيب. فدعا وجهاء مصر .. وبعد أن اطمئن له المماليك دعاهم لحضور هذا الحفل لتوزيع الجيش الخارج من القلعة..ثم يعبر الجسر بعد أن يجتاز باب الغرب. وكانت الطبول والزمور تقرع في القلعة ودخل المماليك على أحصنتهم بكامل زينتهم وسيوفهم.

في هذا الطريق الطويل وربطوا خيولهم داخل خان القلعة وكعادتهم يرافق المملوك رجل ماش يأخذ منه الحصان حتى يعود وهكذا وصل إلى القلعة الآلاف.

كان محمد علي باشا قد حضر الجيش ووضع في المقدمة أن تسير بقيادة ابنه إبراهيم ولم يكن باشا وفي المؤخرة تسير المماليك على خيولهم ووراءهم جيش آخر بقيادة طوسون.

وحين يصل إبراهيم إلى الباب الغربي يقفل الباب ويرتد جيش لينتشر بين الصخور مع أخيه طوسون من الخلف ويطلقون الرصاص على المارين في هذا الممر الإجباري ،ولم تستطيع الخيول القفز فوق الصخور.

وهذا جيش محمد علي المنتشر على طول هذا الممر 1000متر ولكن بعد ال500متر يبدأ بصعود وفي حال الفوضى لا تستطيع الخيول الصعود لأن جيش إبراهيم واقف عند الفرسان .

وأعطى محمد علي باشا إشارة إطلاق النار عليهم بطلقة من داخل القلعة وكان معه أركان الأربعة لالا ظوظو علي وصالح قوش وطاهر باشا

هؤلاء الثلاثة هم الذين خططوا لهذه المذبحة ولكن محمد علي لا يحتاج لمن يعلمه المكائد والغدر فهو قد صفى كل معارضيه.

وهاهو الآن يغدر بالمماليك دفعة واحدة فوقع قتلى في هذا الأمر حوالي 1000 شخص ولم يهرب أي ملوك إطلاقاً ،فعدد المماليك داخل القصر 470 مملوك قتلوا جميعاً في هذا الممر وعبيدهم فتلوا معهم.

كتب المؤرخون أن هناك مملوكاً هرب ولكن الحقيقة غير ذلك.

هذا المملوك أتى متأخراً وسمع بإطلاق النار فهرب. أما جورجي زيدان الذي كتب أنه قفز من فوق الجسر...ثم قفز عن ظهر الحصان .

يكتب الرواة من أجل الرواية ولم يكن جورجي حاضراً لا هو ولا غيره.

أما المملوك الآخر فهو يملك قرى في الصعيد الأعلى ويبدو أنه هناك قريتان متنازعتان وبقي وهرب من هناك إلى السودان.

وبهذا الشكل قضي على المماليك وصفى الجو لمحمد علي باشا وعندما سمع السلطان بهذه المذبحة خاف من محمد علي باشا أن ينازعه الخلافة .فأراد نقله إلى ولاية دمشق ولكنه رفض وشكل جيشاً قوياً والآن محمد علي باشا غدا مربحاً للمصريين.

وإذا بقي مملوك متخفي فأدانوا له بالطاعة ودفع الضرائب.

بدأ صراع بين السلطان ومحمد علي وساعد محمد علي الباب العالي في احتلال جزيرة كريف كما ساعد محمد علي باشا في إخضاع الثورات في مناطق الشام .

وبذلك غدا محمد علي والياً على مصر والسودان والشام ،فعين ابنه إبراهيم باشا والياً على الشام واحتفظ مع طوسون الذي كان ذهب إلى الحجاز أيضاً.

لذلك هادن السلطان محمد علي باشا على أن يبقى والياً على مصر حتى نهاية حياته ولكن محمد علي باشا لم يقبل بذلك فطلب من السلطان أن يعينه والياً على مصر مدى الحياة ومن بعده ابنه الكبير مكانه وأعطاه لقب في البداية اسمه (فوجاك) وهو يعني أقل من الصدر الأعظم وأكبر من والي ولكنه رفض هذا اللقب وطلب أكبر من ذلك وكادت تقع حرب بين السلطان وبين محمد علي باشا وأرسل محمد علي باشا جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم بعد أن أخذ سوريا واجتاح لواء اسكندرونة فعمل السلطان حساباته فقرر بالمفاوضات إعطاءه لقب (خديوي) وهو يأتي مباشرة قبل الصدر الأعظم فقبل محمد علي باشا أن يكون أبناؤه خلفاء من بعده.

وهكذا غدت مصر خديوية و والخديوي محمد علي باشا.

وحصلت عدة انتفاضات عام 1839 وبعد مذبحة القلعة وفشلت توفي ابنه إبراهيم وطوسون قبله في مصر وبقي إسماعيل .

لم يبن محمد علي القلعة إذ هي قبله من أيام الفراعنة القدماء...وفي هذا العصر أزيحت الصخور وزفت الطريق للسواح.

توفي محمد علي باشا 1849 واستلم بعده إسماعيل الخديوي إسماعيل.

في أثناء هذا الحكم الطويل بنى قصر رأس التين في الإسكندرية ،وبنى كثيراً من الأماكن. أما إسماعيل فقد بني قصر القبة في القاهرة.

وقصر عابدين وابن عمه محمد علي الصغير (الأمير) بني قصره على ضفة النيل ،وكثر الأمراء من خلافة محمد علي وأبنائه فبنوا القصور والفلل قصر الماظ في الإسكندرية وكثير من استراحات في الإسماعيلية والخديوي إسماعيل هو الذي اتفق مع الانكليز لشق قناة السويس.

محمد علي التأم من المماليك حين قرروا بناء سفن لنقل الجيش .وعلم أنهم أرادوا أن يقطعوا له الطريق ويقتلوه .وكانت هذه الحادثة قبل مقتلهم بأشهر قليلة .وقال أقتلهم قبل أن يقتلوني..

وهكذا كان غدر جماعي فاق غدر كل ما قبله في التاريخ.

لنعد إلى الأمام ونمشي قليلاً إلى مضافة الفلاحين ومنزول القرية وكان الفلاحون مجتمعين يتحدثون أحاديث شتى. كان أحدهم في المدينة يقول إنه سمع أخباراً تقول إن الفرنسيين سيعلقون مع الألمان ،وقال ربما الألمان يعلقون بالمسقوف وسأله أحدهم : ما المسقوف ؟وسأله أحدهم : ماالمسقوف ؟ قال البارودة الطويلة المسقوفية هي صناعة المسقوف .

سأله وأين هم المسقوف قال: عندما حضر الدرك وأخذوا خليفة بن عبد الله واتهموه أنه تابع للمسقوف. المسقوف هو الشيوعية قال له هذه أول مرة أسمع فيها عنهم.

أنا أعرف السلطان العثماني وأمي أعطتني مجيديات قبل أن تموت ثم التقى المجيدي وجاءت فرنسا.

هكذا كانت السوالف بين الفلاحين ،والطقس لا يزال عاصفاً ومثلجاً، ورغم أن أبا علي شيتان لا يزال في القرية ،قال أحد الفلاحين : مالنا وللألمان نحن يهمنا الفرنسيين الحاكمين حالياً في مخفر الطامة وهو فعلاً طامة ،وهذا الضابط الفرنسي رئيس المخفر إذا لم يحصل هناك حرب فياويلنا ....نكون نحن ومواشينا وقواداً للحرب.

وتذكر المختار حين قال الفرنسيون يشعلون الفتن بين البدو ويمدون الجميع بالسلاح ويحرضونهم على القتال.

صاح فلاح آخر متلحف بغزوته من البرد كنا في قرية وكان البدو يحدون مثل بدء هجومهم (يحدون كلمة غناء)...

يقولون :

اسمع ويش تقول فطيم أم خشيم (البندقية الألمانية)

رصاصاً يلمع وصوت تفقع من أم خشيم ، كانوا يحدونها ليشجعوا أنفسهم على القتال فاستمرت الحرب باسم الرعي وباسم الزعامة وباسم سرقة فرس أو خطف امرأة ،ينشب الصراع حتى على الرعي في البادية ،كل هذه الأمور كان الفرنسيون يزودون كل الأطراف يبيعونها السلاح والذخائر.

ورد فلاح آخر إذا علقوا مع الألمان نرتاح نحن ،وقال المختار لن نرتاح معهم حتى يغادروا ،فقالوا له : سيأخذون منا البغال والحبوب ونغدو فقراء أكثر. نحن الآن نأكل الشعير والذرة وسنأكل الأعشاب وكانت هكذا أحاديث الفلاحين قال: نحن لا نملك هوايات لأننا مكتمون وعند الفرنسيين مسجلين بدو ولا أحد يحمل هوية فقد معروف بالاسم والكنية بيت الشمالي- الصوراني –الطيباني

...ولا يسال عن اسم الأب وهم مسجلون عند الفرنسيين بهذه الأسماء دون من يسجل اسم الأب أو الأم،

وفي هذه المضافة حضر سلوم من محطة القطار وأتوا بالخرفان المسلوقة والعبي والفراوي وأصوات النمورة الهريسة من عند المدام.

قال لهم المختار الجالس خلف المنقل: الوكيل في بيته صايبو رشح ولا يحضر إلى هنا ،وحتى نلتقيه أرسلوا له خروفاً وصفت نمورة ،وليأخذهم العسس إليه ولا تنسوا الوقاف وهو من البدو وصفت هريسة. ونحن مالنا وحال الحرب . ابتعد عن الشر وغني له. فالحرب هي الشر وعلينا أن نستمع على صوت الربابة نبني لها ابن قريتنا أحمد لأنه يعزف على الرباب ،وقد علمه الشاعر العزف ،ونادى فلاح آخر فريد أغنيته شروقي وهي أغنية بدوية وقال أخر عراقي ،فحمى الرباب وجهزها وراح يعزف لحناً حزيناً.

يا حادي العيسى عرج كي نودعهم

يا حادي العيسى في ترحالك الأجل

يا حادي العيسى قل لي أينما رحلوا

يا حادي العيسى قل لي أينما نزلوا.

ويلي من البيت إن شدوا وان رحلوا

فكان الفلاحون حين يسمعونها يضطربون ويصيحون يا أحمد يا أبو علي.

الفلاحون يطربون للأغاني البدوية لأن القرية عشيرة البدو ولا يفهمون الفصحى.الرسالة التي تأتي يقرأها شيخ الكتاب فقط الشيخ سعدو وفي هذا الجو الملبك تم سهرات الفلاحين هكذا على شرب القهوة المرة وكان الشاي قد صار والسكر الأحمر يشربون الشاي.

تمر الأيام وينتهي الثلج ويبدأ الربيع ونزل الغجر (الخيام) بجانب خيام البدو ملاصقة للقرية. والغجريات يطوفون البيوت مساءًي يشحذون العشاء ومع كل غجرية سطل تضع فيه العشاء ،وهناك مثلاً : (مثل كشلول الغجرية) يوضع فيه البرغل وشوربة العدس والكشك وكله خليط.

يضرب هذا المثل على سكان القرية كلنا خليط من مختلف العشائر والقبائل والمذاهب ،ولا نعرف إلا الاسم والمنطقة القادم منها .

وحين اقترب الربيع بدأ الغجر يقيمون حفلات الرقص في ساحة القرية على دقة الطبل والمزمار والدربكة وأغانيهم على الرباب.

وكثيراُ من هذه الحفلات يحضرها ملازم أول (اليطنان).

وعندما يحضر الملازم يحضر صاحب القرية طبعاً ،الفلاحون لا يدفعون للبحر شيئاً ولكن تسجل عليهم في نهاية الموسم حيث تأتي الغجريات وشيخ الغجر ليحصلوا على قوتهم الشتوية من الحبوب العدس والقمح.

هذه حالة الغجر ،وكثيراً من الشبان يقفون مقابل الغجريات ،أما النساء فهم يسمعن الطبل والزمر ويشاهدون الرقص من بعيد ، لأن النساء في القرية محتشمات لا يهمهنم إلا زوجها وأولادها حتى العازبات لا يحضرن حفلات الغجر ،ويعتبرنها من العيب .

المرأة لا تشاهد الرقص إلا في حفلة عرسها ولا تشاهد الرجال إلا من بعيد أو قريب .فهي تذهب إلى البئر ويشاهدون وجهها ولكن دون اختلاط بالبيوت.

لا يوجد زيارات في البيوت إطلاقاً وفي هذا الربع من الليل يقومون برعي الأغنام ويسمونه النشر،وقد كتبت حول هذا سابقاً لأن الرجال والنساء يجتمعون أثناء حليب الواشي خاصة إذا كان بعض الفلاحين يملك أكثر من عشرين نعجة فهو يساعد زوجته في حلبها والجميع يتساعدون .

أريد أن أختم رواية الغدر عندما يجلس الفلاحون مع الشيخ سعدو الذي كان يقرأ القرآن الكريم وبعض الكتب حين يذهب إلى القرية.

فتراه يحدثونهم عن التاريخ وعن الحكم العثماني المنقرض منذ فترة قصيرة ،ويتحدثون عن ابراهيم باشا ومحمد علي باشا في مصر ،يعرفون مصر والعراق والمغرب ،ولكن لا يعرفون عن شعوبها شيئاً إلا ما يقوله الشيخ سعدو.

والشيخ سعدو رجل طيب يحب وطنه وحب الفلاحين.

وأنا كاتب هذه الرواية قد حفظت القرآن بصماً عند الشيخ سعدو وعلمني التجويد في القرآن والإدغام والاقلال والترتيل ،وعلمني دق المزهر(الدف) وإقامة الموالد والحفل إثناء انحباس المطر ،وهكذا كانت حال هذه القرية .

كبرت ووصلت إلى ما وصلت إليه في قضية فلسطين ثم كنت ضابطاً في مصر ودرست الحرب العالمية الثانية في ليبيا بأحزابها الأربعة ثم قرأت تاريخ الحرب العالمية والأولى والثانية ثم عدت إلى الروايات إلى جورجي زيدان والمملوك الشارد ومذبحة القلعة.

لقد تغيرت قلعة محمد علي الباشا في القرن العشرين كثيراً في القرن التاسع عشر،وتغيرت القاهرة أيضاً كثيراً وتغيرت سوريا وأصبحت أحزاباً كثيرة.

ولكن يبدو أن للحياة دورات وها أنا أختم روايتي بقول الشاعر:

رحنا في الوشم عليهن المسوح

كل بطاح من النفس له يوم يطوح

لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح

فعلى نفسك نحي إن كنت لا بد تنوح

الدنيا مقلوبة والغد أفضل

قال شاعر والفيلسوف الكبير أبو العلاء المعري:

خفف الوطء ما أظن أديم أرض إلا من هذه الأجساد.

منذ بدأ الإنسان بالظهور بدأت الغيرة والحسد بين البشر وبدأ الصراع سواء بين ألأفراد ثم أصبح فيما بعد .

تجمع البشر حسب مناطق الأرض وكان الصراع على هذه الأرض الرعي ،ثم كان قتال جماعات عشائر على الرعي والزرع ثم أفراد ،وبدأ البشر يكثرون ويتكاثرون وبعد أن وصل الإنسان من الفرد إلى العائلة إلى العشيرة إلى القبيلة ،وبدأ يشكل الحضارات تطور الصراع أكثر على الأرض.

هذه الحياة كما جاء في كتابه الكريم:

(اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو) سورة ( ) لقد كتبت رواية اسمها (الغدر) وعندما بدأ غدر قاتل لأخيه هابيل كان غدراً من أجل الحسد ،وكيف غدر أيضاً أخوة يوسف أبناء يعقوب بأخيهم وأنجاه الله.

ويستمر الغدر بين البشر على مر السنين بين الأخوة أو العائلة أو الأقرباء أو العشائر على من هو رقم (1) في هذا الزمان .

وإذا بحثنا دور المرأة عبر التاريخ فلها دور أساسي في حياة الإنسان ولها دور مميز في تاريخ البشرية فهي شريك الرجل لأنها هي عامل الإنجاب والتكاثر وهي المربية الفاضلة والمخلصة لعائلتها ولأولادها ولزوجها ،قال الشاهر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق.

وتحدث كثيرون عن المرأة ولكن لم يعطوها حقها كاملاً .ويبدو أنه حتى في القرن العشرين أخذت المرأة دوراً مهماً في حياة البشرية.

في التشريع الإسلامي أعطي للرجل قدر امرأتين...وهكذا ورد في القرآن الكريم (للذكر مثل حظ الاثنتين).

ولكن تطور البشر خارج نطاق الإسلام أعطوا للمرأة أكثر من ذلك فساووها بالرجل حتى في بعض الدول الإسلامية مثل تونس ميراثها مثل الرجل ...وكثير من الشعوب الإسلامية تأثرت بالغرب وأعطوها أكثر مما أعطيت في الإسلام.

هل كانت المرأة توأد في عصر الإسلام بسبب الخوف من العار.لأنها مشاعية .

الإسلام منع وأد البنات وحمى المرأة ما أمكن ...ولذلك أعطى للمرأة حقوقاً كثيرة.

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فرجهم والذاكرين لله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم معفرة وأجراً عظيماً . سورة الأحزاب 35

عندما ننظر في هذه الآية الكريمة ،كل مسلم مؤمن إذا آمن وطبق القرآن على نفسه وقام بمناسك الإسلام هو المسلم الحقيقي أما من أسلم بالسيف ولم يدخل الايمان إلى قلبه فقد يرتكب أخطاء بتشويه الإسلام ،وهذا ما حصل عندما دخل الأعاجم في الإسلام بحد السيوف وأغلبهم لم يدخل الإيمان إلى قلبه فشوهوا بالترجمة صورة الإسلام...الإسلام الحقيقي هو من اسلم بقليه وروحه وطبق الصدق ومعاملة الناس لأن القرآن الكريم جاء للبشر كافة ولم يأت للعرب فقط. وأول سورة نزلت :

اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق.

إذن الإنسان هو الأساس في هذه الحياة أي إنسان كان وأياً كان مذهبه .مادام يؤمن برسالة السماء ومعاملة أخيه بالحق والمساواة.

ولكن يبدو أن الدنيا ملأى بالأطماع ،إذ يتغير الإنسان من وجه لآخر ،والمال إذا لم يستخدم في الطريق الصحيح فهو خسارة ،و السلطة التي لا تخدم الشعب وتكون عادلة فهي قمة المفسدة ،وهكذا تدور الأمور في هذا العالم الفسيح حول السلطة وكسب المال ،وتزال الدول من نظام لآخر. وكما ذكر في الدولة الإسلامية كيف زالت الدولة متعاقبة خلف بعضها البعض .

إلى أن جاء عصر المماليك الذين كانوا يباعون في عصر الأسواق أصبحوا في قمة السلطة واستولوا على مصر ثم طردوه الأمويين من بلاد الشام...

ووصلوا إلى مقر الخلافة وأبقوا على الخليفة الذي لا حول له ولا طول ،وبدؤوا يحكمون العالم الإسلامي في مصر والشام ،ودام حكمهم حيث أنهم مقاتلون أشداء وفرسان.

وعندما آلت الخلافة إلى العثمانيين لم يتغير شيء وأرضوا الخليفة لمرحلة طويلة.. ولكن دولة تعمر طويلاً تزول فجأة وقد حكوا حلب والموصل وقاتلوا في كردستان وأضنه والساحل السوري وطردوا المفول في معكرة عين جالوت .ولكن شأنهم كمن سبقهم بغدر بعضهم بعضاً.

وتكاثروا كثيراً في مصر واستمر حكمهم طويلاً حتى عام 1811 قضى عليهم محمد علي باشا وأنهى دور المماليك .كان المماليك في هذه الفترة مقيمون على رجل الدين ومن نظر إلى الشمال الغربي من إفريقيا. فنهض الأوربيون واحتلوا الجزائر والمغرب وطردوا العرب من اسبانيا واحتلت ايطاليا ليبيا وانحسروا دور العثمانيين حتى كانت الحرب العالمية الأولى فألغيت الخلافة العثمانية.

حاول المماليك أخذ الخلافة إلى مصر في معركة مرج دابق 1516 ولكنهم فشلوا في ذلك واستمروا في حكم مصر بعض المناطق بزعامة الخلافة الإسلامية .واستخدمهم السلطان بمهارة حتى قضي عليهم عام 1811 من قبل محمد علي باشا في مذبحة القلعة وكان غدراً جماعياً...

ومن يعبر هذا الممر اليوم يشم رائحة الموت.

لقد كتبت هذه الرواية في زمن صعب يمر به الوطن العربي ويمر به العالم أيضاً ،لأن الحضارة بدأت تتطور بسرعة وقد تدمر الحضارة نفسها بنفسها .وهذه الاختراعات قد تدمر الأرض والمناخ ويكثر الفقر ،ويكثر الغدر ،فصديقك اليوم عدوك غداً.

وأرجو أن أكون مخطئاً .

وعلى النقاد والقراء الذين يقرؤون هذه الرواية وينقدونها لهم مني كل التقدير والاحترام سواء كان النقد سلباً أم إيجاباً ،لهم شكري وتقديري .

هذا رأيي في هذه الرواية.

ويبقى وقود هذه المأساة الإنسانية الفقراء العمال والفلاحين ويكونوا مأساة هذه الإنسانية في كل أنحاء العالم.